التعصب النقدي والخطأ في التقويم، تجربة الصاحب بن عباد مع المتنبي انموذجاً

أ.م.د. ثائر سمير حسن الشمري
جامعة بابل/ كلية التربية الأساسية

المقدمة:

كان ابو الطيب المتنبي، وما يزال، ظاهرة ليست بالاعتيادية في حقل الأدب عموماً، والشعر على وجه الخصوص، ظاهرة مثيرة للجدل،أفرح الكثيرين اعترافاً بتميّزه، وأغاظ مثلهم حسداً وحقداً على مكانته المرموقة بين الشعراء، وعلى الرغم ممّا كُتِبَ عن الشاعر هذا سلباً وايجاباً، فانه سيبقى مدار بحثٍ طويل عِبر العصور والأجيال؛ لما في شعره من أمور تُجبِر الدارسين على الوقوف عليها، وإعادة التأمّل فيها من جديد، ومن ثم الكتابة عنها، أو عن بعض الرؤى والأفكار التي تطرّقت له سابقاً في المجالات المختلفة، سواء أكانت متعلقة بحياته، أم بشعره.

وفي البحث هذا سنتطرق الى قضية نقدية أثارت جدلاً كبيراً منذ القدم، وحتّى وقتنا الحاضر، وأعني بها رسالة الصاحب بن عباد في الكشف عن مساوئ شعر المتنبي، تلك الرسالة التي اختلف فيها المتلقون بين مؤيد لها، ورافض، وبين أولئك وهؤلاء فضاء واسع للنقد والتحليل فيما يتعلق بالآراء التي طرحها صاحبها فيها، والتي كان اكثرها نابعاً من موقف شخصي للحطِّ من قدر الشاعر كما سنرى.

ولكي نبرهن على انّ أبا الطيّب كان ضحيّة للنقد غير البنّاء، او بمعنى آخر، كان ضحية الاحقاد الشخصية، والمواقف الجريئة في آن معاً، آثرنا التكلّم على بعض المؤلفات التي أُلِّفَتْ حوله من لدن بعض الأدباء– وإنْ كان بشكل موجز – والتي اتخذت من النقد طريقاً مشروعاً لها، في حين أنّ الأحقاد هي التي كانت وراء تلك المؤلفات كما سيتضح لنا ذلك فيما بعد، ((إذ إنّ ابداعية المتنبي صرح خالد تتكسر عليه عواتي التخرّصات التي قد يحاول أحياناً بعض حاسديه ان يتدرّع بها للافتئات على صولاته الشعرية المعززة لسمو نفسه وأثر شعره في الأدب العربي))[1].

إنّ آراء المتنبي، ومواقفه الجريئة مع بعض الملوك والوزراء، كانت أسباباً حقيقية وراء تكوين عاصفة كبيرة حاولت ان تقلع شعره من جذوره، فضلاً عن شاعريته، فللمتنبي ((قدرة على الاثارة نادرة فيما ينظم من شعر وما يفصح من آراء وما يصدر من مواقف، وفي حياته المليئة بالحركة والعنفوان والتنقّل والترحال وفي أفكاره ذات التوقيت الحاسم السريع، وفي طموحه وآماله الكبيرة، وفي شغفه العجيب بمجد لم تدركه طقوس ملوك العصر)) [2].

فبعد تركِ الشاعر بلاط كافور، وذهابه بعد مدّة الى بغداد، رفض مدح الوزير المهلبي، فسارع الأخير الى اغراء شعراء بغداد حتى نالوا من عرضه، وتباروا في هجائه، وتنادروا به

وتماجنوا عليه[3]، يخبرنا صاحب خزانة الأدب أنّ المهلبي ((انتظر [....] انشاده فلم يفعلْ، وإنّما صدّه ما سمعه من تماديه في السُّخف واستهتاره بالهزل، واستيلاء أهل الخلاعة والسخافة عليه؛ وكان المتنبي مُرَّ النفسِ صَعْبَ الشكيمة حادّاً مجِدّاً، فخرج، فلما كان اليوم الثالث أغرَوا ابن الحجاج حتّى علّق لجامَ دابته في صينية الكرخ، وقد تكابسَ الناسُ عليه من الجوانب، وابتدأ ينشد:

يـــا شـــيخَ أهـــلِ العلـــم فينـــا ومَـــن يَلـــــزم أهـــــلَ العلـــــمِ تـــــوقيرُه

فصبر عليه المتنبي ساكناً ساكتاً، الى أنْ نجّزها، ثم خلّى عنان دابته، وانصرف المتنبي الى منزله))[4].

وحتى لا نخرج عن مجال بحثنا، نقول: إنّ الوزير المهلبي لم يُنهِ انتقامه من الشاعر عند ذلك التصرف، وانما نراه يقوم بتحريض الاديب (الحاتمي) على الكتابة في شعر المتنبي منتقداً أخطاءه، وذلك ما اعترف به الحاتمي نفسه في رسالته التي كتبها للغرض هذا، قائلاً: ((سامني [يقصد الوزير المهلبي] هتك حريمه وتمزيق أديمه ووكلني بتتبّع عواره وتصفّح أشعاره وإحواجه الى مفارقة العراق))[5].

ويذكر الحاتمي في رسالته هذه أنّ سنّ الصِّبا كان من محاسنه [6]، إذ كان مغروراً بنفسه الى أبعد الحدود، حتّى أنّه وُصِفَ من لدن بعض معاصريه بأن ((حسده لغيره على فصل حسن ولفظ حرّ بقدر إعجابه بما يقوله ويكتبه)) [7]، وبما أنّ دافع تأليف الرسالة كان بطلب من المهلبي للنيل من الشاعر، وليس بدافع النقد الحقيقي البنّاء الذي يتكلم على المحاسن والمساوئ، فقد غَدَتْ رسالته ((موسومة بالانفعال في أكثر مراحلها، ودواعي التحامل فيها مفضوحة))[8].

أمّا فيما يتعلّق برسالة ابن وكيع التّنيسيّ التي سمّاها (المنصف)، والتي حاول فيها أنْ يُوهِمَ القرّاء بانها في الحديث عن السرقات عموماً، فلم تكن الاّ للنيل من المتنبي، بدافع الحقد الشخصي من شاعريته، والحسد من المكاسب التي حقّقها، فضلاً عن دفع الاخرين له للنيل من أبي الطيّب، فما ((الحديث عن السرقات عامة وعن فنون البديع إلاّ توطئة، فأمّا غاية (المنصف) الأولى فهي إبراز سرقات المتنبي))[9]، ويرى المستشرق (بلاشير) أنَّ ابن وكيع التنيسي لم يؤلّف رسالته تلك إلاّ انتصاراً لابن حنزابة الذي كان مستاء من المتنبي لترفعه عن مدحه [10].

وهكذا نرى أنّ النقد السلبي الذي وُجِّهَ الى أبي الطيّب كان بدوافع شخصية،ولم يكن خالصاً للنقد حقيقة، علماً أنّنا بفضل رسالة ابن وكيع التنيسي،تعرفنا رسالة اخرى ألّفها الشاعر (النامي) عن الاغلاط التي وقع فيها المتنبي في شعره، وهو لم يؤلّف رسالته أيضاً إلاّ بسبب تقرّب المتنبي من سيف الدولة الحمداني، وتحطيمه المكانة التي كان يحظى بها (النامي) لدى ذلك الممدوح،فأثار غيظه، فألّف تلك الرسالة [11].

وللمرحوم (طه احمد ابراهيم) رأي جليل في مواقف الذين كتبوا عن أبي الطيّب كتابة لا تتّسم بالعلمية والدقّة، بل بالتحامل والقسوة غير المسوّغة، يقول فيه: ((وظنّي أنّ التعصب على الشاعر هو انكار مزاياه، وجحود آياته الساطعة، والمكابرة والإصرار على الغَضِّ منه، وجعل الاصبع في الأذن، ووضع اليد على العين؛ حتى لا تُسمع الحقيقة ولا تُرى. هو جحود الدليل حين يقوم الدليل، والفرار من الحجّة حين تنهض الحجّة)) [12].

وكان تاثير الصاحب بن عباد في تحريض الآخرين للنيل من المتنبي اكبر بكثير من تأثير الآخرين فيهم، وأبرز أديبين حاولا النيل من الشاعر ترضية للصاحب هما: أبو بكر الخوارزمي، وأبو هلال العسكري، فاتصال أبي بكر الخوارزمي بالصاحب يفسّر ((غرامه بالنيل من المتنبي والغضّ من شعره، فهجومه على المتنبي لم يكن إذن صادراً عن نزعة فنية تحدوه الى كشف عيوب المتنبي ومساويه. ولكنه اندفع في ذلك ترضية للصاحب بن عباد الذي كان يحقد على المتنبي لترفّعه عن مدحه ولإشادته بابن العميد)) [13].

غير ان ما فعله ابو هلال العسكري مع المتنبي، كان أشدّ وقعاً مما فعله الخوارزمي، وذلك في كتابه المعروف باسم (كتاب الصناعتين)، وانتبه الدكتور زكي مبارك الى ذلك التعصب الذي اعمى هذا الأديب ترضية للصاحب بن عباد [14]، والذي اكّد صلة العسكري بالصاحب من خلال مظهرين: كان الأول منهما الاشادة بأدب الصاحب، والثاني تحامله على المتنبي [15]، علماً ((أنّ أبا هلال لم يكن من قبيلة الصاحب ولا من بلده فقد كان هو بالأهواز وكان الصاحب بأصبهان. وكان أبو هلال فيما يبدو شديد الحرص على صداقة الصاحب وعلى التزلّف له والتماس رضاه فأبدى إعجابه به في غير موضع من كتبه، وشاركه ما ذهب اليه من تتبع مساؤئ شعر المتنبي، وقد حرص أن يستشهد بشعر أبي الطيّب على كلّ ما يراه قبيحاً من الشعر))[16].

وقبل تعرّف موقف العسكري من المتنبي والصاحب على حدٍّ سواء، نرى أنّ العسكري كان ازدواجياً في موقفه، فهو في ديوان شعره كان ينصح بعدم نشر عيوب الآخرين؛ لكي تتواصل المودة بين الناس، ودليله في ذلك أنّ الجميع لديهم من العيوب التي لا يرجون فضحها، ولكنه في الوقت نفسه لم يلتزم بتلك النصيحة حين جنّد نفسه للبحث عن عيوب المتنبي فقط، وإنكار محاسنه، لا لشيء سوى إرضاء الصاحب والتملق له، يقول:

لا تعتمـــدْ نشـــرَ العيـــوبِ وبثّهـــا يســـلم لـــك الأخـــوان والأصـــحابُ

واشـــدد يـــديك بمـــا يقـــلّ معابـــه مـــا فـــيهم مـــن لـــيس فيـــه معـــابُ [17]

قلنا: إنّ العسكري تَتَبّع سقطات المتنبي– على حدٍّ رؤيته– فقط، ولم يذكر محاسنه الا في بيت واحد كما سنرى، في الوقت الذي مدح فيه أدب الصاحب كثيراً، ولم ينتقده على الاطلاق، ممّا يؤكّد تحامله على الشاعر، ومحاولة النيل منه، في الوقت الذي كان فيه (اخوان الصفا) يدعون الناقد الى الالتزام بمبادئ راقية قبل الدخول الى النقد، وذلك في قولهم: ((أعلم أنّه لمن يريد أنْ يعرض حقائق الأشياء أن يبحث أولاً عن علل الموجودات، واسباب المخلوقات وأن يكون له قلب فارغ من الهموم والغموم والأمور الدنيوية، ونفس زكيّة طاهرة من الاخلاق الرديّة، وصدر سليم من الاعتقادات الفاسدة، ويكون غير متعصّب لمذهب او على مذهب لانّ العصبيّة هي الهوى، والهوى يُعمي عين العقل ويُنهي عن ادراك الحقائق، ويُعمي النفس البصيرة عن تصوّر الأشياء بحقائقها، فيصدّها ذلك عن الهوى، ويَعدِل عن طريق الصواب)) [18] .

وسنتناول فيما سيأتي المواطن التي انتقد فيها العسكري أبا الطيّب في كتابه الصناعتين، مُرجئين الحديث عن مدحه لأدب الصاحب، ففي (تمييز الكلام) قال العسكري: ((قيل للسيد [الحميري]: أَلاَ تستعمل الغريب في شعرك، فقال: ذاك عيّ في زماني. وتكلّف مني لو قلته، وقد رزقت طبعاً واتساعاً في الكلام، فانا أقول ما يعرفه الصغير والكبير، ولا يحتاج إلى تفسير، ثم انشدني:

فيـــا رَبِّ إنّـــي لَـــمْ أُرِدْ بالـــذي بـــهِ مَـــدَحْتُ عليّـــاً غيـــر وَجْهِـــكَ فـــارْحَمِ

فهذا كلام عاقل يضع الشيء موضعه، ويستعمله في إبّانه، ليس كمن قال وهو في زماننا:

جَفَخَتْ وهُمْ لا يَجْفَخُونَ بها بِهِمْ

فأشمت عدوّه بنفسه)) [19].

وفي (كيفية نظم الكلام والقول على فضيلة الشعر وما ينبغي استعماله في تأليفه) قال:((والمختار من الكلام ما كان سهلاً جزلاً لا يشوبه شيء من كلام العامّة وألفاظ الحشوية وما لم يخالف فيه وجه الإستعمال، ألاَ ترى الى قول المتنبي:

أيـــنَ البَطـــارِيقُ والحَلَـــفُ الـــذي حَلفُـــوا بمَفْـــرَقِ المَلْـــكِ والـــزَّعْمُ الـــذي زعَمُـــوا

هذا قبيح جدّاً، وانما سمع قول العامة حلف رأسه فأراد أن يقول مثله فلم يستوِ له فقال: بمفرق الملك، ولو جاز هذا لجاز أن يقول: حلف بيافوخ أبيه– وبمقحدوة سيده– وقبح هذا يدل على أنّ أمثاله غير جائزة في جميع [كذا] المواضع))[20].

وقال في: (فيما يحتاج اليه الكاتب الى ارتسامه وامتثاله في مكاتباته): ((وينبغي ان تتجنب إعادة حروف الصلاة والرباطات في موضع واحد إذا كتبت مثل قول القائل: منه له عليه، أو عليه فيه، أو به له منه، وأخفها له عليه، فسبيله أن تداويه حتى تزيله بان تفصل ما بين الحرفين، مثل أن تقول: أقمت به شهيداً عليه. ولا أعرف أحداً كان يتتبع العيوب فيأتيها غير مكترث إلاّ المتنبي، فإنه ضمّن شعره جميع [كذا] عيوب الكلام ما أعدمه شيئاً منها حتى تخطّى الى هذا النوع فقال:

وتُسْـــعِدني فـــي غَمْـــرَةٍ بعـــدَ غَمْـــرَةٍ سَـــبوحٌ لهـــا مِنهـــا عَلَيهـــا شَـــواهِدُ

فأتى من الاستكراه بما لا يطار غرابة فتدبّر ما قلناه وارتسمه تظفر ببغيتك منه إنْ شاء الله))[21].

إنّ القارئ الذي يُنعم نظره في الانتقاد السابق، لا يساوره الشّكّ في أنّ أبا هلال كان يأتي بالملاحظة النقدية بناء على بعض شعر المتنبي، وليس لأجل الملاحظة النقدية عموماً، ودليلنا على ذلك، قوله: ولا أعرف أحداً كان يتتبع العيوب

فيأتيها غير مكترث إلاّ المتنبي، وكأنّ الكون قد خلا من الأدباء والشعراء فلا يوجد فيه إلاّ المتنبي، فجاء بذلك الانتقاد من اجله حصراً، فضلاً عن أنّه كان يتحدّث عمّا يحتاج له الكاتب في مكاتباته، وليس الشاعر، فللشعر خصائص تختلف عن خصائص النثر، أهمّها الوزن والقافية، مما يؤدي بالشاعر الى التصرف باللغة بحسب الضرورة .

ما مضى الحديث عنه، كان يدلّ على ان العسكري يريد استثمار أيّة فرصة سانحة للنيل من الشاعر، حسداً وحقداً، ولا شيء سوى ذلك، باستثناء ارضاء الصاحب بن عباد طبعاً.

وقال العسكري (في ذكر التجنيس): ((وقد قال بعض المتأخرين ما هو أقبح من جميع ما مرّ في قوله وليس من التجنيس:

ولا الضِّعفَ حتّى يَتْبَعَ الضِّعْفَ ضِعْفُهُ ولا ضِعْفَ ضِعْفِ الضِّعْفِ مِثْلَهُ ألفُ

وقوله:

فقَلْقَلْتُ بالهَمِّ الذي قَلْقَلَ الحَشَا قَلاقِلَ عِيسٍ كُلُّهُنَّ قَلاَقِلُ)) [22]

وهنا دليل آخر على تحامل أبي هلال على الشاعر، فهو يتكلّم على التجنيس، ويأتي ببيتين لأبي الطيّب لا علاقة لهما بالتجنيس– على حدِّ قوله– ولم يأتِ بهما إلاّ لتعصبه، وإرضائه للصاحب.

ويبدو أنّ العسكري لم يجدْ من الشعراء العباسيين مَن يتمثّل بشعره المعيب غير المتنبي، فنراه يستشهد بأشعاره في كلّ صادرة وواردة، فيذكره بالسوء بمناسبة ومن دون مناسبة، ففي حديثه عن الغلو، قال: ((ومن الغلو الغث قول المتنبي:

فَتىً ألفٌ جُزْءٍ رأيُهُ في زمانِهِ أقَلُّ جُزَيْءٍ بَعْضُهُ الرَّأيُ أجْمَعُ

وقوله:

تَتَقاصَرُ الأفهامُ عن إدْرَاكِهِ مِثْلَ الذي الأفلاكُ فيه والدُّنا

سُئِلَ عمّا فيه– الافلاك والدنا– فقال: علم الله، ونيته لا تدلّ عليه فافرط وعمى وجمع دنيا على قول أهل الادوار والتناسخ)) [23].

وفي (المبالغة) قال: ((ومن عيوب هذا الباب، قول بعض المتأخرين:

فلا غِيْضَتْ بِحارُكَ يا جَموماً على عَلَلِ الغَرائِبِ والدِّخالِ

أراد ان يقول– إنك كثير الجود على كثرة سؤالك فلا نقصت– فعبّر عنه بهذه العبارة الغثّة– والجموم– البئر الكثيرة الماء، وقوله:

لَيْسَ قولي في شَمْسِ فِعْلِكَ كالشَّمْ سِ ولكنْ في الشَّمْسِ كالإشْراقِ [24]

وقال في (الكناية والتعريض): ((ومن شنيع الكناية قول بعض المتأخرين:

إنِّي على شَغَفِي بِما في خُمْرِها لَأعِفُّ عَمَّا في سَرَاوِيلاتِها

وسمعت بعض الشيوخ يقول: الفُجر أحسن من عفاف يعبر عنه بهذا اللفظ)) [25] .

وهو يعني (ببعض الشيوخ) الصاحب بن عباد، فهو مَنْ تحدّث بالقول هذا في رسالته موضوع البحث، كما سيأتي تفصيل ذلك في محله بإذن الله تعالى.

ومن المآخذ التي ندوّنها على أبي هلال، هي أنّه لم يُجهد نفسه كثيراً بالبحث عن عيوب شعر المتنبي؛ لأنه استشهد لتلك العيوب بالابيات نفسها التي تمثّل بها الصاحب في رسالته، وكأنه بذلك يروم تأكيد ما طرحه الصاحب بخصوص الشاعر، تملّقاً له وأرضاءً لحقده وحقد الأخير عليه.

وفي (الترصيع) قال العسكري: ((ومن معيب هذا الباب أيضاً، قول بعض المتأخرين:

عَجِبَ الوُشَاةُ مِنَ اللُّحَاةِ وَقَوْلِهِمْ دَعْ مَابَرَاكَ ضَعُفْتَ عَن إخْفَائِهِ

هذا رديء لتعمية معناه)) [26] .

وقال في (التوشيح): ((وممّا عِيب من هذا الضرب [.....]،قول بعض المتأخرين:

فقَلْقَلْتُ بالهَمِّ الذي قَلْقَلَ الحَشَا قَلاقِلَ عِيسٍ كُلُّهُنَّ قَلاَقِلُ)) [27]

أمّا بيت المتنبي الوحيد الذي مدحه العسكري في صناعتيه، ولم يوجِّه له انتقاداً، فهو قوله:

أَرِيقُكِ أمْ مَاءُ الغَمامَةِ أمْ خَمْرُ بِفِيَّ بَرُودٌ وَهْوَ فِي كَبِدِي جَمْرُ [28]

غير انّ مدحه ذاك لا يعدُّ حسنة للعسكري؛ لانه جاء بوصفه كلمة حقٍّ يراد بها باطل كما يُقال؛ فبعد ذكره للبيت هذا، بوصفه مطلعاً جيداً للشاعر؛ قال: ((وله بعد ذلك ابتداآت [كذا] المصايب [كذا]، وفراق الحبايب)) [29] ،ثم ذكر (16) ستة عشر بيتاً له عدّها كلّها من المطالع الرديئة، قائلاً بعد تعدادها: ((فهذه وما شاكلها ابتداآت [كذا] لاخلاق لها)) [30].

ولنا بعد استعراض الانتقادات التي وجهها العسكري للمتنبي أنْ نأخذ عليه بعض الملاحظات الآتية:

1- تجاهله ذكر اسم الشاعر في اكثر الأحيان، والقول بدلاً من ذكر اسمه مثلاً: كمَن قال وهو في زماننا[31]، أو: قال بعض المتأخرين[32]، وعندما يذكر اسمه صراحة لا يكون ذلك الذكر إلاّ عند التمثيل بالعيوب الشعرية الكبيرة كما يراها العسكري[33]، وربما كان سبب عدم ذكره لاسم الشاعر صراحة في أكثر الأحيان، هو تحرجه من ذكر اسمه لمعرفة الناس بشاعرية المتنبي، وخوفاً من انتقادهم إيّاه، وكشفهم تحامله عليه، فيصبح مثار سخرية الآخرين، وقد يكون السبب للتقليل من شأن الشاعر، وتصغير حجمه أمام الناس، حسداً له، وحقداً عليه.

2- استخدامه لغة السخرية نفسها التي سنّها الصاحب بن عباد في رسالته[34]، وكان بإمكان العسكري تحديد تلك العيوب، والتمثيل لها من شعر المتنبي، من دون مَسِّه بالكلام الجارح، والسخرية منه، ولكنه آثر تقليد الصاحب في مذهبه في النقد، وبالأحرى في الانتقاد.

3- لم يُجهد ابو هلال نفسه كثيراً في البحث عن الأبيات الشعرية التي تتضمن عيوب شعر المتنبي؛ إذ سطا على الأبيات نفسها التي تمثّل بها الصاحب في رسالته، وقد يكون سبب ذلك تأكيد دقّة الصاحب في نقده لتلك الأبيات، تملقاً له، وارضاءً لكبريائه التي جرحها أبو الطيب بعدم مدحه له.

4- كان بإمكان العسكري مدح أبي الطيب في بعض المواطن، كما مدح الصاحب بن عباد في كثير منها، فضلاً عن مديحه لكثير من الشعراء العباسيين مثل: أبي تمام، والبحتري، وأبي نواس، وابن الرومي، وابن المعتز وغيرهم، ولكن تحامله عليه، ومجاملته للصاحب حالت دون ذلك، فأصبح حديثه عن الشاعر انتقاداً وليس نقداً

حقيقياً، وأكد في الوقت نفسه هجومه المسبق عليه، حتّى أنّنا نعتقد أنه كان يصنع الملاحظة النقدية في ضوء شعر المتنبي الذي يشتملها، ليس إلاّ.

5- أما الملاحظة الأخيرة، فهي مدحه للصاحب بن عباد، وعدم انتقاده مطلقاً في كتابه، وكأنّما كان الصاحب منزّهاً من العيوب، فضلاً عن ذكره للنصوص النثرية الكثيرة له، بوصفها نماذج للأدب الرفيع، والقول الصحيح، وما اصدق انتقاد الدكتور زكي مبارك الذي وجّهه الى كتاب أبي هلال، قائلاً: ((وتحامل أبي هلال على المتنبي هو المطعن الظاهر في أخلاقه، فقد كان يستطيع أن ينتقد شعر المتنبي فيظهر الجيّد منه والرديء، ولكل شاعر جيد ورديء، ولكنه سلك خطة واحدة هي النص على السخيف من شعر المتنبي مع التعامي عن معانيه الجيدة، وخياله الوثّاب. فانضمَّ بذلك إلى النقاد المغرضين الذين كلفوا بالبحث عن عيوب المتنبي ابتغاء مرضاة الوزير بن [كذا] عباد، وما أحطّ الأدب إذا سُخِّر لأهل الملك والسلطان)) [35] .

وفيما يتعلق بالمواضع التي مدح بها العسكري الصاحب بن عباد، فهي كثيرة، وسنحاول الإيفاء بها؛ لتوضيح التعصب له، وتأكيد تحامل أبي هلال على المتنبي من الوجه الآخر، فهو في حديثه عن (قبح المأخذ) يقول: ((رُويَ لنا أنّ عمر بن أبي ربيعة أنشد ابن عباس رضي الله عنه: (تشطّ غداً دار جيراننا)، فقال ابن عباس: (والدار بعد غد ابعد)، فقال عمر: والله ما قلت إلاّ كذلك، وإذا كان القوم في قبيلة واحدة وفي ارض واحدة فإن خواطرهم تقع متقاربة كما أنّ أخلاقهم وشمائلهم تكون متضارعة، وأنشدتُ الصاحب اسماعيل بن عباد: (كانت سَراةُ الناس تحت أظلّه). فسبقني وقال: (فغدتْ سَراةُ الناس فوق سراته). وكذلك كنت قلت، فعلى هذا جايز [كذا] ما يدعى لهم)) [36].

إنّ المجاملة المتكلّفة واضحة تماماً في الرواية السابقة، فالعسكري يحاول استثمار أية فرصة مواتية للتقرّب من الصاحب، والأدلة على ذلك كثيرة كما سيأتي.

ففي (حد التشبيه وما يُستحسن من منثور الكلام ونظمه)، قال العسكري في مجاملة الصاحب: ((لا يخفى فضل ذي العلم وإنْ أخفاه كالمسك يخبى ويستر ثم لا يمنع ذلك رائحته أن تفوح. أخذه الصاحب فكتب، فأنت أدام الله عزّك وإنْ طويت عنّا خبرك، وجعلت وطنك وطرك، فأنباؤك تأتينا، كما وشى بالمسك ريّاه، ونمّ على الصباح محيّاه. وقال أيضاً: الرجل ذو المروّة [كذا] يُكرم على غير مال كالأسد يُهاب وإنْ كان رابضاً، والرجل الذي لا مروّة [كذا] له يُهان وإنْ كان غنيّاً كالكلب يهون على الناس وإنْ عس وطوّف. وقال: المودّة بين الصالحين سريع اتصالها بطيء انقطاعها كآنية الذهب التي هي بطيئة الانكسار هيّسة الإعادة، والمودة بين الأشرار سريع انقطاعها بطيء اتصالها كآنية الفخار يكسرها أدنى شيء ولا وصل لها. وقال : لا يردّ بأس العدوّ القوي بمثل التذلل له كما أنّ العشب إنّما يسلم من الريح العاصف بلينه لها وانثنائه معها. وقال: لا يجب للمذنب أنْ يفحص عن أمره لقبح ما ينكشف عنه كالشيء المنتن كلما أثير ازداد نتناً، وقال أيضاً: مَنْ صنعَ معروفاً لعاجل الجزاء فهو كملقي الحبَّ للطير لا لينفعها بل ليصيدها به. وقال أيضاً: المال إذا كان له مدد يجتمع منه ولم يصرف في الحقوق أسرع إليه الهلاك من كل وجه كالماء إذا اجتمع في موضع ولم يكن له طريق الى النفوذ تفجّر من جوانبه فضاع. وقال أيضاً: الأدب يذهب عن العاقل السكر ويزيد الأحمق سكراً كالنهار يزيد البصير بصراً ويزيد الخفاش سوء بصر))[37] .

وفي (ذكر السجع والازدواج) قال أبو هلال: ((وهذا الجنس اذا سلم من الاستكراه فهو أحسن وجوه السجع، ومثله قول الصاحب:لكنه عمد للشوق فأجرى جياده غرّاً وقرحاً، وأورى زناده قدحاً فقدحاً، وقوله: هل من حثّ الفضل تهضمه شغفاً ببلدتك، وتظلمه كلفاً بأهل جلدتك، وقوله: وقد كتبت الى فلان ما يوجز الطريق الى تخلية نفسه، وينجز وعد الثقة في فك حبسه، فهذان الوجهان من اعلى مراتب الازدواج والسجع))[38] .

وقال في (ذكر المقاطع والقول في الوصل والفصل) : ((وهكذا يفعل الكتّاب الحذّاق، والمترسّلون المبرزون، ألاَ ترى ما كتب الصاحب في آخر رسالة له، فإن حنثت فيما حلفت، فلا خطوت لتحصيل مجد، ولا نهضت لاقتناء حمد، ولا

سعيت الى مقام فخر،، ولا حرصت على علو ذكر، وهذه اليمين التي لو سمعها عامر بن الظرب لقال هي الغموس، لا القسم باللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى، فأتى بأيمان ظريفة ومعان غريبة، وكتب أيضاً في آخر رسالة، وأنا متوقّع لكتابك، توقع الظمآن للماء الزلال، والصوام لشهر شوال))[39].

إنَّ الباحث ليأسف حين يجد ناقداً كأبي هلال العسكري، مشتملاً على الحقد والتعصب ضد أبي الطيب المتنبي، فلا يذكر شعره إلاّ بالسوء وتفصيل المعايب، في الوقت الذي لا يذكر فيه عيباً واحداً لأدب الصاحب، وكأنّه منزّه من الأخطاء، مع ان الأخير اتكأ كثيراً في أدبه على شعر المتنبي، سواء في شعره أو في نثره كما سنرى، ولم يكن ذلك إلاّ لمجاراة الصاحب بن عباد، وموافقته فيما ذهب اليه بخصوص التقليل من شأن المتنبي وشأن شعره، ولم يكن ذلك ألاّ جزءاً من الحرب الشعواء التي شنّها الحاقدون والناقمون على الشاعر بسبب مواقفه الجريئة، وقراراته الشجاعة كما ذكرنا من قبل.

ان ما سبق الحديث عنه كان مقدمة سريعة توضح كيف أنّ النقد الذي وُجِّهَ الى المتنبي لم يكن خالصاً للنقد، بل كان بدوافع شخصية كما اتّضح لنا، وحاولنا فيها اقناع المتلقين بفساد تفكير اولئك النقاد، او فالنقل: الطارئين على النقد، الذين اندفعوا بعواطفهم في الكتابة، وليس بعقولهم كما يُفتَرَض بهم، هذا اولاً، وثانياً اتخذنا من المقدمة هذه طريقاً للدخول الى صلب موضوع الدراسة، وأعني الحديث عن رسالة الصاحب بن عباد في الكشف عن مساوئ شعر المتنبي، حديثاً مفصلاً، يتضمّن كلّ ما يتعلّق بها من الجوانب المختلفة، مع توجيه نقدي للكثير من القضايا التي طرحها صاحبها فيها.

<u>سبب تأليف الرسالة:</u>

لدينا سببان رئيسان لتأليف الرسالة من لدن الصاحب بن عباد، أولهما يراه الباحث واقعياً أكثر من الثاني، أما ثانيهما فيراه الباحث مسوّغاً وهميّاً حاول الصاحب اقناع المتلقين به على الرغم من وضوح وهميته، وانكشاف زيفه، ففيما يخصّ السبب الأول، فهو رفض المتنبي مديح الصاحب حينما كاتبه وهو مازال في حضرة ابن العميد، وقُبيل توجهه لمديح عضد الدولة البويهي، ((فيحكى أنّ الصاحب أبا القاسم طَمِعَ في زيارة المتنبي إيّاه بأصبهان، وإجرائه مُجْرَى مقصوديه من رؤساء الزمان، وهو إذ ذاك شاب، وحاله حَويلة، ولم يكن استوزر بعد، وكتب إليه يلاطفه في استدعائه، ويضمن له مشاطرته جميع [كذا] ماله، فلم يُقِمْ له المتنبي وزناً، ولم يُجِبْهُ عن كتابه ولا إلى مُرادِهِ، وقصد حضرة عضد الدولة بشيراز [....]، واتخذه الصاحب غَرَضاً يَرشُقه بسهام الوقيعة، ويتتبع عليه سقطاته في شعره وهفواته، وينعى عليه سيئاته، وهو اعرف الناس بحسناته، وأحفظهم لها، وأكثرهم استعمالاً إيّاها، وتمثّلاً بها في محاضراته ومكاتباته)) [40] .

أمّا السبب الآخر، فيبدو أنّ الصاحب هو من ابتكره ليكون مسوّغاً شرعيّاً للتأليف بالنسبة إليه وللآخرين على السواء، ففي مقدمة رسالته يتّضح أنّه كتبها لأبي الحسين حمزة بن محمد الأصبهاني[41] ،ثم قال في بيان سبب تأليفه لها في تلك المقدمة: ((وكنتُ ذاكرتُ بعضَ من يتوسّم الأدب في الأشعار وقائليها والمجودين فيها؛ فسألني عن المتنبي فقلتُ: إنّه بعيد المرمى في شعره كثير الإصابة في نظمه، إلاّ أنّه ربما يأتي بالفقرة الغرّاء مشفوعة بالكلمة العوراء.

فرأيتُهُ قد هاج وانزعج، وحمى وتأجّج، وادّعى أنّ شعره مستمرُّ النظام؛ متناسب الأقسام. ولم يرضَ حتّى تحدّاني فقال: إنْ كان الأمر كما زعمتَ فأثبتْ في ورقةٍ ما تنكر، وقيِّدهُ بالخطّ ما تذكر، لتتصفحه العيون وتسبكه العقول. ففعلتُ، وإنْ لم يكن تطلُّبُ العثرات من شيمتي، ولا تَتَبُّعُ الزلاّتِ من طريقتي. وقد قيل: أيّ عالمٍ لا يهفو، وأيّ صارمٍ لا ينبو، وأيّ جواد لا يكبو؟!! .

وإنّما فعلتُ ما فعلتُ لئلاّ يقدِّر هذا المعترض أنّي مِمّن يَرْوِي قبل أنْ يُرَوِّي، ويُخْبِر قبل أنْ يختبر، فاسمع وأنصتْ، وأعدلْ وأنصفْ، فما أوردتُ من كثير ممّا زلَّ فيه إلاّ قليلا، ولا ذكرتُ من عظيم ما اختلَّ فيه إلاّ يسيرا. وقد بُلينا بزمانٍ زَمِنٍ يكاد المنسم فيه يعلو الغارب، ومُنينا بأعيار أغمارٍ اغترّوا بممادح الجُهّال، لا يضرعون لمن حلب العلم أفاويقه والدهر أشطره؛ لاسيما علم الشعر، فانه فُوَيق الثُريّا وهم دون الثرى، وقد يوهمون أنهم يعرفون، فاذا حكموا رأيتَ بهائم مُرسَلَة ونعائم مجفلة)) [42].

إذن، في المقدمة هذه يُظهر الصاحب سبب تأليفه لرسالته، وفيها يتّضح حقده وتعصبه على الشاعر، وعلى المعجبين بشعره، وسنوضّح ذلك في محلّه إن شاء الله تعالى.

تاريخ تأليف الرسالة:

يرى المرحوم طه احمد ابراهيم أنّ الرسالة أُلّفت بعد وفاة المتنبي بقليل، فيقول: ((لا ندري بالتحديد متى أُلّفت هذه الرسالة. ولكن فيها ما يشير الى أنّها كُتِبتْ في حياة ابن العميد. وقد توفي ابن العميد في سنة 360هـ . فهي إذن قبل هذا التاريخ. وهي على كلّ حال في العِقد السادس من القرن الرابع، وأكبر الظنّ أنّها أُلّفت بعد وفاة المتنبي بقليل)) [43] .

واتفق محقق الرسالة مع الرأي السابق فيما يتعلق بتاريخ تأليف رسالة الصاحب في الكشف عن مساوئ شعر المتنبي، وذلك حينما قال: أمّا تاريخ تأليفها فلم نعلمه بالدقة، ولكنه كان قبل عام 360هـ، الذي توفي فيه ابن العميد، لأن الصاحب يذكر فيها استاذه ابن العميد [....]، ولما كان المتنبي قد قصد ابن العميد وعضد الدولة سنة 354هـ وكان الصاحب قد راسل المتنبي في هذه الفترة [كذا] أن يزوره ويمدحه فرفض المتنبي الإجابة، كان تاريخ هذه الرسالة خلال أعوام 354 – 360هـ))[44].

وما يهمنا من ذلك هو أنّ الرسالة أُلّفت بعد وفاة المتنبي، وهذه نقطة جوهرية جعلت الصاحب قاسياً في أحكامه التي بناها ضد الشاعر، إذ لو كان حيّاً، لربّما خفّف المؤلف من تلك اللغة الساخرة، ومن التجنّي الكبير؛ خوفاً من ردِّ الشاعر عليه، ومن ثم احراجه وبيان أخطائه بنفسه، ونحن نعجب لموقف الصاحب هذا مع شاعر ميت، ولاسيما أنّه القائل عن نفسه:

وكم شامتٍ بي بعدَ موتِي جاهلاً بظلمي يسِلُّ السيفَ بعد وفاتي

ولو علمَ المسكينُ ماذا ينالُهُ من الظلمِ بعدي مات قبل مماتي [45]

فأصبح هو من ظلم المتنبي أشدّ الظلم، وتجنّى عليه كثيراً في رسالته كما سنرى، فغدا بذلك عرضة للكثير من النقاد الذين سلّوا سيوفهم عليه بسبب مواقفه تلك مع المتنبي، فهجموا عليه لأنه ظالم لا مظلوم، وفي المجال هذا لابد من استذكار قول أبي العلاء المعري، الذي نصح فيه بعدم ظلم الأموات، أو التجنّي عليهم، وإنْ كان متأخراً عن زمن الصاحب، يقول:

الغيبُ مجهولٌ يُحارُ دليلُهُ واللُّبُّ يأمُرُ أهْلَهُ أن يتّقوا

لا تظلموا الموتى وإنْ طال المدى إنّي أخافُ عليكم أنْ تلتقوا [46]

وسنحاول فيما سيأتي تسليط الضوء على آراء النقاد الذين انتبهوا لعدم التزام الصاحب بن عباد بمقاييس النقد في عصره، وابتعاده الى ابعد الحدود عنها، فذكروا ذلك في مؤلّفاتهم، موضّحين تعصبه على المتنبي، وعدم سلكه الطريق الصحيحة في توجيه النقد الى الشاعر.

الصاحب ورسالته في ميزان النقد:

على الرغم من أنّ النقد في القرن الرابع الهجري كان خصباً جداً، متسعَ الآفاق، متنوع النظرات، معتمداً الذوق الأدبي السليم، مؤتنساً بمناحي العلم في الصورة والشكل لا في الجوهر والروح . إنْ حُلِّلَ فبذوق سليم، وإنْ عُلِّلَ فبمنطق شديد، وإنْ عَرَض لفكرة اتى على كل ما فيها [47]، إلاّ أنّ الصاحب لم يتقيّد بأكثر تلك المقاييس، وجعل غضبه من الشاعر، لعدم مدحه إيّاه، مقياسه الوحيد في نقده الذي وجهه اليه، لذا انتبه كثير من الباحثين والنقاد الى تعصبه ذلك، ومن

ذلك النقد ما ذكره ابن فورجة البروجردي (ت حوالي 455هـ)، في (شرح مشكلات ديوان شعر أبي الطيّب) : ((قد ارتكب فيها [الرسالة] شيئاً من المزح عجباً، ليس من طريقة العلم ولا ممّا أفاد غير خيلاء الوزارة وبذخ الولاية، ولعمري أنّه لو لم يرد عنه هذا الكتاب لكان اجمل بمثله أو كان لم يتعدّ فيه التهزؤ الفارغ والكلام اللغو حتّى أنّه ما كاد ينتقص شيئاً من الأبيات التي نقمها على أبي الطيّب بما يفيد معرفة ، مخطئاً فيه أو مصيباً، إلاّ مواضع يسيرة كأنها عثار منه بالجدّ لا عمد، فخلط فيها ودلّ على انّه لم يفهم ولم يحط علماً بما كرهه، وهذه الرسالة عملها في صباه، والنزق حداه على إظهارها وما أجدر مريد الخير له بكتمانها عليه)) [48] .

ولو لم يكن الصاحب ظالماً للمتنبي في رسالته، لما سلّط عليه الله (سبحانه وتعالى) مثل هذا الانتقاد الجارح بعد مرور مدّة وجيزة على وفاته.

ويرى البديعي انّه لما اعرض المتنبي عن مدح الصاحب، صيّره الأخير ((غرضاً يرشقه بسهام الوقيعة، يتتبع عليه سقطاته في شعره وهفواته، وينعى عليه سيئاته)) [49]، والرسالة ((قائمة على الغضِّ من الشاعر العظيم، والتحامل عليه، والتهكم به والسخرية منه. كان الصاحب بن عباد صغيراً هيِّن المكانة حين وفد المتنبي على ابن العميد ومدحه. وكان يوّد لو قصده أبو الطيّب، فلّما تجاهله جَزِع وسَخِط، ولم يسكن ما به حتّى ألَّف تلك الرسالة ينال فيها منه، ويتعصب عليه تعصّباً شديداً)) [50] .

كما انتبه الدكتور زكي مبارك لتحامل الصاحب على أبي الطيب أيضاً، فقال: ((إنّ الصاحب كان شديد الرغبة في استبعاد الكتّاب والشعراء، وقد نال من ذلك مبتغاه. ولكن المتنبي استعصى عليه وترفع عن مدحه والانتساب اليه. فاسرها الصاحب في نفسه وأخذ يؤلب النقاد والكتّاب ضدّه ويحملهم على مهاجمته والنيل من قدره [.....]، وقد اشترك الصاحب بنفسه في مهاجمة المتنبي فكتب رسالة نقد بها شعره. وهي رسالة يغلب فيها التحامل)) [51].

ثم انتقد الدكتور زكي مبارك الفِقرة الأخيرة من مقدمة رسالة الصاحب التي حاول فيها تسويغ تأليف رسالته، والتي ذكرنا مضمونها في (سبب تأليف الرسالة)، وذلك بقوله : ((وهذه الفِقرة تدل على أن الصاحب كان ضيق الصدر يؤذيه أنْ يذكر المتنبي بخير، فالمتنبي عنده رجل رفعه الزمن الجائر وأنصار المتنبي عنده أنعام لايسمعون ولا يعقلون))[52].

ولم ينتقد الصاحب أنصار المتنبي وعشاق شعره في مقدمة رسالته فحسب، وإنّما كرّر ذلك الانتقاد على مدار صفحات رسالته كما سنرى ذلك، ونفصّل الحديث عنه في محلّه إنْ شاء الله .

وعلى العموم، فانّ رسالة الصاحب ((جرّأتْ النقّاد على المتنبي وفتحت لهم باب القول، حتّى ليمكن الحكم بأنّ ما ورد فيها من المآخذ كان المصدر الأول لأكثر المطاعن التي صوّبها النقّاد الى المتنبي))[53] .

وانتبه (عبد الرحمن صدقي) الى تعصب الصاحب في رسالته على المتنبي، قائلاً: ((والمتنبي شاعر مقل لا يبذل المديح لكل من لقيه. ولقد جرَّ عليه ترفّعه عن مدح الوزير المهلبي والصاحب بن عباد عداوات مشبوبة اللظى ملحة النكير، فكان الأخير بأصفهان لا حديث له إلاّ تتبع سقطاته والنعي على سيئاته، وهو اعرف الناس بحسناته وأكثرهم تمثلاً به في محاضراته ومكاتباته))[54].

ولم تبتعد رؤية الدكتور إحسان عباس عن رؤى الآخرين فيما يتعلّق بمضمون رسالة الصاحب، وذلك حين قال: ((فالرسالة– أو المجالس التي كانت صورتها الشفوية– لم تكن خالصة لوجه النقد، وإنّما اجتمع فيها غرور الشباب وإرضاء صاحب الدولة))[55] .

كان ذلك كلّه فيما يخصّ تحامل الصاحب على المتنبي في رسالته، وانتباه أكثر النقّاد الى ذلك التحامل، أمّا فيما يتعلق بمضمون تلك الرسالة، والأخطاء النقدية التي اشتملت عليها، فقد ناقشها بعض النقاد أيضا ، فعلى الرغم من أنّ بعضهم تمثَّل بنماذج من تلك العيوب التي وجهها الصاحب الى شعر المتنبي، ولم يُقدّم لها أي نقد يُذْكَر[56]، نجد أنّ بعضهم الآخر كان يوجّه تلك العيوب، ويقدّم لها نقداً بنّاءً، ويبيّن أخطاء صاحبها وما وقع فيه من إلتباس بسبب شدّة

غضبه من الشاعر لعدم مدحه إيّاه، وكان ابن فورجة البروجردي من أوائل أولئك النقاد، إذ جاء ببعض النماذج الشعريّة للمتنبي التي انتقدها الصاحب، ثم انتقد منتقدها، وذلك في كتابه (شرح مشكلات ديوان شعر أبي الطيّب) ، منها على سبيل المثال :

1- قال الصاحب : ((ومن اساليبه العجيبة في التسلية عن المصيبة :

لا يُحـــــزِنُ الله الأميـــــرَ فـــــإنّني ســـــآخُذُ مِـــــن حالاتِـــــهِ بنَصِـــــيْبِ

ولا أدري لِمَ لا يحزن الله الأمير إذا أخذ أبو الطيب بنصيب من القلق. أتُرى هذه التسلية عند أُمّته أحسن من قول أوس :

أيّتهـــــا الـــــنفس أجملـــــي جزعـــــاً إنّ الـــــذي تحـــــذرين قـــــد وقعـــــا))[57]

ردَّ ابن فورجة على الانتقاد هذا ، قائلاً: ((أخطأ في موضعين أحدهما: أنّه ظنّ أنّه يقول: كلّما حزن الأمير حزنت فقط، فظنّ أنّ (يحزن) رفع لأنه إخبار، ولولا ظنّهُ ذلك لما استفهم فقال: لمَ لا يحزن الله سيف الدولة إذا اخذ أبو الطيب بنصيب من القلق، وهذا خطأ، ويحزن جزم النون المكسورة لالتقاء الساكنين وهو دعاء [....] ، الثاني: أنّه قال: أتُرى هذه التسلية أحسن أم قول أوس، وان هذا البيت ليس بتسلية وإنّما هو دعاء للممدوح))[58].

2- قال الصاحب : ((ومن تعقيده الذي لا يُشقُّ غبارُه ولا تُدركُ آثارُه قوله:

ولَلْتَـــركُ للإحْســـانِ خَيْـــرٌ لِمُحْسِـــنٍ إذا جَعَـــلَ الإحْســـانَ غَيـــرَ رَبيـــبِ

وما أشُكُّ أنّ هذا البيت عند حملة عرشه أوقع من قول حبيب:

إسَـــاءَةَ الحادِثـــاتِ اســـتبطِني نَفْقـــاً فقـــد أظلَّـــكِ إحســـانُ ابـــنِ حسَّـــانِ [59]

ردَّ عليه ابن فورجة منتقداً: ((ما أدري أمِن قولهِ تعقيده الذي لا يشقّ غباره أتعجّب أم من تشبيه هذا البيت ببيت أبي تمام، وكلا الأمرين عجيب . أمّا زعمه أنّه قد عقّد ، فوجه التعقيد ما لا نعلمه، فانه لم يقدّم لفظة ولا أخّر أخرى عن موضعها ولا غرّب في المعنى ولا في اللفظ، وانما قال: ترك الإحسان خير لمحسن إذا لمْ يرب إحسانه؛ ألاَ ترانا حين فككنا النظم وجعلناه نثراً أتينا بمثل لفظه سواء، من غير زيادة ولا نقصان ولا تقديم ولا تأخير؟ فليت شعري أين التعقيد؟ وأما قوله ما أشكّ أنّ هذا البيت اوقع عند حملة عرشه من بيت حبيب، فلا أعلم ما التجاور بينهما والتشارك، ولعلّه رأى اشتراكهما في لفظة الإحسان تشابهاً[60].

3- قال الصاحب: ((ومن مجازاته التي خَلَقَها خَلْقاً متفاوتاً تخفيفَ ُهُ(الغاشّ)، وهذا ما لا أعلم سامعاً باسم الأدب سوّغه وسمح فيه فجوّزه، وذلك في قوله:

كأنّـــكَ نـــاظِرٌ فـــي كـــلِّ قَلْـــبٍ فمـــا يَخْفـــى عَلَيـــكَ مَحَـــلُّ غـــاشِ

وإنْ جاز هذا جاز أنْ يُقال: عَبَاس بن عبد المطلب، والشَّمَاخ بن ضرار فلا تُشَدَّدُ الباء من عَبَّاس والميم من الشّمّاخ، على أنّ ما أورده أشنعُ من هذا الذي مثّلناه، إذ كان لفظ (فاعل) يُبنى على (فعَّل) مشدَّد))[61].

انتقده ابن فورجة، قائلاً: ((بأنّ أبا الطيّب لم يرد غاشاً وإنّما أراد محلّ مَنْ يغشاك من صنوف الناس))[62].

أمّا الدكتور احسان عباس، فقد ادلى بدلوه أيضا في التعليق على ملاحظات الصاحب التي تجاوزت معايير النقد النزيه، فانتقد بعضها قائلاً: ((ولكن الامر في الرسالة ليس في عدد العيوب، وإنما في طريقة إبرازها، لقد افتتح الصاحب

رسالته بما يُوهم سعة الصدر وانفساح الأفق متذرعاً بمقاييس ابن العميد استاذه في النقد، فلما حاول النقد لم يعد واسع الصدر، ولم يتقيّد حتى بمقاييس استاذه على قصورها ومحدودية أفقها، وإنما ذهب في التهكّم كلّ مذهب، واستعمل السباب الجارح، وكدَّ قريحته ليتفنن في التعليق الساخر فكان نسيج وحده في هذا المضمار لم يبلغ مبلغه الحاتمي في حدّة الانفعال، ولا شأى شأوه العميدي في التعليقات التهكمية)) [63].

ثم تمثل الدكتور احسان عباس– بعد حديثه هذا– بثلاثة تعليقات ساخرة من تعليقات الصاحب على ابيات الشاعر، ثم قال: ((ولكن يجب أن ننتبه الى أمور: اولها أنّ هذا القسم المعيب ليس مما استكشفه الصاحب ببالغ حذقه ، وأنما هو ما كان يدور على الالسنة من مستغرب ما جاء به المتنبي؛ والثاني أنّه كان باستطاعته الكشف عنه دون لجوء الى مايشعر بالتحامل فكأنه ليس له في الرسالة إلاّ هذه التعليقات اللاذعة؛ والثالث أنّ هذه العيوب جميعاً لا تُسقِط شاعراً؛ ورابعها أنّ النقد ليس محض تعداد للسيئات؛ وخامسها أنَّ رسالته نفسها معيبة للاضطراب القائم بين طبيعة مقدّمتها ومتنها، ثم لعدم بنائها على اصول واضحة، فهي بالخواطر المرسلة أشبه))[64].

وقال عن بيت المتنبي الذي أورده الصاحب في رسالته:

كأنّكَ ناظِرٌ في كلِّ قَلْبٍ فما يَخْفى عَلَيكَ مَحَلُّ غاشِ[65]

((هذا البيت فضح الصاحب أبو القاسم به نفسه في رسالته التي ذم فيها أبا الطيّب))[66] .

ثم اوضح إحسان عباس سِرَّ انتقاده للصاحب قائلاً: ((لانّ التحامل أعمى صاحبها عن الرؤية الصحيحة وجعله يتورّط في اخطاء فاضحة)) [67] .

غير أنّ بعض أولئك النقّاد وجدوا قيمة للرسالة من خلال دلالتها على فهم الصاحب للشعر، وبصره بالنقد كما يرى الدكتور زكي مبارك [68]، أو من خلال كون أكثر ما عابه الصاحب فيها على أبي الطيب كان صحيحاً كما يرى الدكتور إحسان عباس [69]، إلاّ أنّنا لا نتفق مع ما جاءا به حول تلك الرسالة المتحاملة، إذ لم تدل على فهم الصاحب للشعر ولا على بصره بالنقد في أكثرها كما سنرى، كما أنّ أكثر ما عابه فيها على المتنبي لم يكن صحيحاً، بل كان مليئاً بالمغالطات، ولم يكن خاضعاً لمقياس نقدي واضح، سوى مقياس الحسد والغضب، وسنبيّن ذلك بتفصيل أكثر في محلّه من الدراسة هذه بإذن الله تعالى.

مضمون رسالة الصاحب ونقد النقد:

حدّد بعض النقاد عيوب شعر المتنبي كما وردت في رسالة الصاحب بن عباد،إلاّ أنّ ذلك التحديد ورد عند بعضهم اثناء انتقادهم لمضمون تلك الرسالة، فالاستاذ المرحوم طه احمد ابراهيم حدد تلك العيوب في ضمن انتقاده طريقة الصاحب في الحديث عنها لدى الشاعر، إذ قال: ((فليس في هذه الرسالة جديد في نظرة أو فكرة؛ إنّما تقوم على امور شاعت عند المحدثين وأُخذت على المتنبي وغير المتنبي من الشعراء، ولم يفعل الصاحب أكثر من أن اجتلب امثلة وشواهد من شعر المتنبي يؤيد بها هذه المآخذ في لهجة الساخر المتهكّم، لا الناقد الجاد. فأورد لنا من شعر المتنبي امثلة للغموض والتعقيد، والركاكة، وقبح الألفاظ واستكراهها، وسقوط المعاني واختلال الوزن، وسوء المطالع، وبُعد الاستعارة؛ مآخذ لا هي بالجديدة ولا هي بالعميقة البعيدة الغور)) [70].

في الوقت الذي حدد فيه المرحوم الدكتور إحسان عباس تلك العيوب باستعمال الألفاظ الحوشية والنابية، والابهام على طريقة الصوفية، ورداءة المطالع، والمبالغة المسرفة، وقلّة الذوق في عدم مراعاة المناسبة، وهجنة الاستعارة، والخطأ في العروض، ورداءة التشبيه، وركوب القوافي الصعبة[71].

لذا سوف لن تخرج دراستنا لنقد رسالة الصاحب عن هذه المحاور إلاّ في بعض الاحيان، مع متابعة جادة لكلّ ما يتصل بالتعليل النقدي من قريب أو بعيد؛ للخروج برؤية واضحة المعالم حول الرسالة هذه التي اثارت جدلاً كبيراً في الاوساط الادبية والنقدية، في محاولة للافادة من كلّ ما يدحض آراء الصاحب بن عباد فيما يخص شعر المتنبي.

ولكن قبل الدخول الى صلب الموضوع أوّد الاشارة، ولفت الانتباه الى تحامل الصاحب الشديد على الشاعر، ومحبّي شعره جميعاً في رسالته، وذلك من خلال الجمل الساخرة التي نطق بها ودوّنها في مناسبات عدّة، من اجل اثبات أنّ أكثر آرائه كانت مدفوعة بعامل العصبية والغضب تجاه الشاعر؛ لتحقيقه شهرة منقطعة النظير، تلك الشهرة التي أثارت حفيظة الصاحب، فهاجم المسؤولين عن شهرته، ألاَ وهم أنصار الشاعر الذين أحبوا شعره، وميّزوا فنّه بإعجاب شديد.

سخريته من المتنبي:

من الواضح أنّ الصاحب لم يدع فرصة تذهب سدى، إذ انتهزها جميعاً للسخرية غير المسوّغة من الشاعر، للتقليل من شأنه، ولتأكيد ذلك لابدّ من تفصيلها في المقام هذا؛ لاقناع المتلقين بتحامل الصاحب على الشاعر أبي الطيّب المتنبي، فضلاً عن أنّنا سنورد تلك الجمل الساخرة بمعزل عن العيوب النقدية وأبيات الشاعر التي تمثّل بها صاحب الرسالة، فمحلّها في مكان آخر من الدراسة هذه.

ومن ذلك قوله: ((كان هذا من ارذل ما يقع لصبيان الشعراء وولدان المكتب الأدباء))[72]، و ((فليت شعري ما الذي أعجبه من هذا النظم وراقه من هذا السبك؛ لولا اضطرابٌ في النقد واعجابٌ بالنفس)) [73]، و ((ومن شعره الذي يتناهى له بالسلاسة؛ مع خلوّه من الشراسة الموجودة في طبعه بيتٌ رُقية العقرب أقرب الى الافهام منه)) [74]، و ((لو وقع في عبارات الجُنيد أو الشبلي لتنازَعَتْه الصوفية دهراً طويلاً))[75]، و ((ولمّا ابدع في هذه المرثيةِ واخترع قال:))[76]، و((ولمّا احب تقريظ المتوفاة؛ والإفصاح عن أنّها من الكريمات، اعمل دقائق فكره، واستخرج زبدة شعره، فقال:))[77]، و((حتّى جاء هذا المبدع))[78]، و ((وأظنُّ المصيبة في الراثي أعظم منها في المرثي))[79]، و((ومن أطمّ ما يتعاطاه التفاصحُ بالألفاظ النافرة والكلمات الشاذّة، حتّى كأنّه وليد خباء وغذيٌّ لبن؛ ولم يطأ الحضر ولم يعرف المدر))[80]، و((فخفَّ علينا بـ (حلواء البنين)))[81]، و((حينئذٍ) هنا أنْفَرُ من عَيْرٍ منفلت))[82]، و((ومن إبتداءاته العجيبة))[83]، و((ولا أدري لِمَ لا يحزن الله الأمير إذا أخذ أبو الطيب بنصيب من القلق))[84]، و((ومن تعقيده الذي لا يُشَقُّ غبارُه ولا تُدْرَكُ آثارُه قوله:))[85]، و((ومَنْ هذا وَصْفُهُ يُقاد اليه المركبُ من مَربط النجار))[86]، و((وكنتُ أتعجّب من كلام أبي يزيد البسطامي في المعرفة؛ وألفاظهُ المعقّدة؛ وكلماته المبهمة، حتّى سمعتُ قول شاعرنا هذا))[87]، و((فلما احتذى هذا الفاضل على طريقتهم قال:))[88]، و((وهذه من الحكمة التي ذخرها ارسطاطاليس وافلاطون لهذا الخلف الصالح، وليس على حسن الاستنباط قياس))[89]، و((وله بيت لا ادري أمَدَحَ المقولَ له ام رَقَاه))[90]، و((ومن أوابده التي لا يُسمعُ طوال الدهر مثلها))[91]، و((وهذا التَحاذُقُ منه كَغَزَل العجائز قُبْحاً؛ ودلال الشيوخ سماجة))[92]، و((ومن افتتاحاته التي تفتح طرقَ الكرب، وتغلِقُ أبواب الرَّوح عن القلب))[93]، و((ممّا لم أُقدِّرْهُ يلج سمعاً أو يَرِدُ أذناً))[94]، و((وقد سمعتُ بالفأفاء ولم اسمع باللألاء؛ حتّى رأيتُ هذا التكلّف المتعسِّف؛ الذي لا يقف حيث يعرف))[95]، و((ومن شعره الذي يدخل في العزائم ويُكْتَبُ في الطلّسمات))[96]، و((أحسبُ أنّه بهذا البيت أشّدُ سروراً من أُمِّ الواحد بواحدها؛ وقد آب بعد فَقْد؛ أو بُشِّرَتْ به عقب ثكل))[97]، و((ولو كان هذا شعراً لخفَّ الأمرُ وريم الكرّ))[98]، و ((ففتل المتنبي من ذلك حبلاً اختنق به))[99]، و((ومن عيون قصائده التي تحيِّر الافهام، وتفوت الاوهام وتجمع من الحساب ما لا يُدرَكُ بالارتماطيقي وبالاعداد الموضوعة للموسيقى قوله:))[100]، و((وهذا كلام الحُكْل[الذي لا يُفْهَم] ورطانة الزِّط))[101]، و((ومن مُساءلته الطلول البالية– وكلامُهُ أشدُّ منها بلىً وأكثر إخْلاقاً – قوله:))[102]، و ((فإنّ لفظة(المتديّريها) لو وقعتْ في بحرٍ صافٍ لكدَّرتْهُ، ولو أُلْقِيَ ثقلُها على جبلٍ سامٍ لهدَّه، وليس لها في المقت غاية، ولا في البَرْد نهاية))[103]، و ((فما أكثر عظام هذا البيت، ولو وقع عليه أبو الكلاب بجميع[كذا] كلابه وهي جائعة لكان لهم فيه قوت))[104]، و((وكان الرجل محرباً فقال في صفة الحرب))[105]، و ((فلا ادري اكان في حَرَّة الحرب ام

في سوق التّمّارين بالبصرة))[106]، و((وله وقد غاص فأخرَجَ جَنْدَلةً))[107]، و((وأنا أقولُ : ليت حوّاء عقمت ولم تأتِ بمثله، بل ليت آدم أجفرُ فلم يكن من نسله))[108]،و ((ممّا انتصف فيه عند نفسه؛ وكان الباحث عن مُدْيَته، والكاشف لعورته، قوله:))[109]، و ((فاقتفاه شاعرنا هذا وغبّرَ في قفاه))[110]، و((وما ادري الى اين ينخفض قائل هذا المقال في سقوط النفس والسفال))[111]، و ((ومن تشبيهاته المتناسبة في الخذلان))[112]، و((وله يريد أن يزيد على الشعراء في وصف المطايا فأتى بأخزى الخزايا))[113]، ثم قال: ((ومن الناس أُمُّه فهل ينشط لركوبها؛ والممدوح أيضا لعلّ له عُصبة لا يحبّ أن يُركَبُوا إليه، فهل في الأرض أفحشُ من هذا التسحُّب وأوضح من هذا التبسُّط))[114]، و((وكانت الشعراء تصف المآزر وتَكْني بها عمّا وراءها تنزيهاً لألفاظها عمّا يُستَشْنَع ذكره حتّى تخطى هذا الشاعر المطبوع الى التصريح الذي لم يهتدِ له غيره))[115]، ثم قال بعد أن ذكر البيت:((وكثير من العُهر أحسنُ من عفاف هذا الشاعر))[116] .

لقد تجاوز الصاحب لغة السخرية في كثير من الاحيان [117] ، الى لغة السباب والشتائم أيضاً، وليست هذه بلغة الناقد القدير، ولا الأديب الجليل، وإنما هي لغة الغضب – أنْ صحّ القول– التي لا تعرف أناةً ولا تهذيباً ، ولا تترك لمتحدّثها مجالاً للتفكير قبل إطلاق الكلام على عواهنه، لغة قد شُحِنتْ بطاقة عدائية من لدن صاحبها ضدّ الشاعر بسبب موقف واحد لاغير، ألاَ وهو رفضه مدح الصاحب، علماً أنّ الصاحب لم يكن قد ترقّى الى منصب الوزارة في تلك الاثناء، فيا ترى ما الذي كان سيحصل لو أنّ رفض المتنبي جاء بعد أن أصبح الصاحب وزيراً ؟

<u>سخريته من أنصار الشاعر:</u>

لم يكتف الصاحب بالسخرية من أبي الطيب في رسالته فحسب، بل وَجَّه تلك السخرية الى عشّاق شعره أيضا، بوصفهم المسؤولين عن ارتفاع شأنه، وعلو صيته على وفق رؤية الصاحب، فنالهم منه ما نال الشاعر من الجمل الاستهزائية الساخرة ، والكلام الذي يجرح المشاعر الإنسانية لا لذنب اقترفوه سوى عشقهم للأدب الحقيقي الذي يعلو به صاحبه إلى أعلى المراتب.

فمن نماذج تلك السخرية ، قول الصاحب : ((وهذه القصيدة يظنّ المتعصِّبون له أنها من شعره نهاية كقوله عزَّ وجلّ : (وقيل يأرضُ ابلعي ماءكِ ويسَمَاءُ أقلعي وغِيْضَ الماءُ) ، وكقوله: (فاصْدَع بمَا تُؤْمَرُ)))[118]، و((ولعلّ هذا البيت عنده وعند كثير مِمَّن يقول بامامته أحسن من قول القائل:))[119]، و((وما أشكُّ أنّ هذا البيت عند حَمَلةِ عرشهِ أوقَعُ من قول حبيب))[120]، و((ومن بدائهه الظريفة عند متعلِّقي حَبْلِهِ؛ وفواتحه البديعة عند ساكني ظلّه قوله:))[121]، و((والذي لا أمتري فيه أنّ عالماً من المناضلين عنه عندهم أنّ (شوائل وتشوال) أبدع في وصف الخيل من قول امرئ القيس:))[122]،و((ولكن بقي أنْ يُوجَدَ مَن يَسمع))[123]، و((ومن هؤلاء العوام الذين يتهالكون فيه مَنْ هذا عنده أبدعُ من قول البحتري:))[124]، و((وهؤلاء المتعصبون له لا يقبح عندهم أنْ ينقشوا هذا البيت على صدر الكعبة ويُنادى في الناس: قعوا له ساجدين))[125]، و((وَيليه بيتٌ إنْ لم يستحِ أصحابه منه سلَّمنا لهم))[126]، و((وفي رافعي رايته مَنْ يشغف بهذا البيت أشَّد من شغفنا بقول أبي تمام:))[127]، و((وفي أقل ممّا ذكرنا غنىً للمصنف، وإنْ لم يكن في أكثر منه كفاية للمتعسِّف))[128] .

والآن، وبعد أنْ استقرينا الجمل الساخرة للصاحب في محبي شعر المتنبي، لنا أنْ نسأل: ما شأن النقد بجمهور الشاعر؟ ومنذ متى كان الناقد يتجه بنقده إلى المتلقين ؟

إنَّ تخبّط الصاحب جعل الرؤية غير واضحة أمامه في توجيه النقد البنّاء إلى الشاعر، لذا وجدناه قد اوقع نفسه في الكثير من المزالق، فأصبح – بجمله الساخرة السابقة– سخرية لكل مَن يقرأ رسالته، ثم ما الذي يبقى للناقد فيما لو جرّدنا رسالته من تلك الجمل سواء التي قالها في الشاعر، أو في عشّاق شعره، فضلاً عن أبيات المتنبي التي تمثّل له بها ، وسوى ذلك من الأبيات الأُخَر لغيره من الشعراء ؟

نقول: إنّ الرسالة إذا ما أفرغت من ذلك كلّه ، فاننا لا نجد الصاحب فيها على الاطلاق، فهو لم يوضّح أسباب نقده، ولم يُحلِّل ، ولم يُعلِّل أيّ شيء للقرّاء، واكتفى فقط بلغته الغاضبة، وعصبيته المحمومة ضدّ الشاعر وأنصاره، من خلال توجيه الاهانات لهم جميعاً، ولاشيء سوى ذلك، كما سيتّضح لنا فيما سيأتي.

وبما اننا ذكرنا تعليقاته الساخرة كلّها حول أبيات المتنبي، لا نرى حاجة أو ضرورة لتكرارها في اثناء تمثيلنا للأبيات التي نقدها في رسالته، وإنما سنكتفي بالإشارة إلى البيت موضوع النقد، ونقوم بتوجيهه من دون ذكر أو تكرار تعليقات الصاحب عليه، إلاّ إذا اقتضت الضرورة، مبتدئين الحديث بانتقاده لمطالع الشاعر.

1- مطالع القصائد:

يُعد مطلع القصيدة أول كلام يلامس أذن المتلقي، لذا لا شكّ أنّ الشعراء جميعاً يبذلون جهوداً أكبر من اجل الاعتناء به؛ لضمان انتباه السامعين لما سيقولونه، ولكلّ شاعر منهجه الخاص في بناء مطالعه، بحسب قناعاته التي تؤيد ذهابه ذلك المذهب في مطالعه الشعرية، وكان أبو الطيب المتنبي واحداً من أولئك الشعراء ، فهو يمتلك طريقة خاصة في بناء شعره عموماً، ولاسيما مطالع قصائده، وذلك ما لم يدركه الصاحب ، إذ إنّ المطلع ليس البيت الأول فقط من القصيدة، وذلك من الأمور المعروفة لدى المختصين منذ نشوء الشعر، فلا نعلم كيف فات الصاحب ذلك ؟! .

وربما كان الصاحب متقصداً في تناسي تلك المعلومة الذائعة، فضلاً عن انّه لم يعلّل في أكثر الأحيان سبب انتقاده للأبيات الأُول من مطالع قصائد المتنبي ، وانّما اكتفى بتعليقاته الساخرة كما مرّ بنا، فقد يكون المتنبي قد تقصّد في بناء ابياته الأُول على طريقة جديدة، وغير معهودة من لدن الشعراء والناس على السواء؛ ليجذب إليه اهتمام السامعين، وضمان اصغائهم لما سيقوله بعد البيت الأول، ولاسيما إننا نعلم أن الشعر في ذلك الوقت، كان يُنشدُ في المحافل الادبية، وفي المناسبات ، فإن كان كذلك، نرى أنّ المتنبي غير ملوم على صياغة أبياته الأُول على وُفق طريقته تلك، التي انتقده عليها الصاحب، ولاسيما انه شاعر امتاز بذكائه، ومعرفته مخاطبة مستمعيه بشكل جيد، وهذا سرُّ شهرته، فضلاً عن أُمور أُخر كثيرة ليس هنا مجال تفصيلها.

ومن المطالع التي انتقدها الصاحب ، قول المتنبي:

لا يُحـــــزنُ اللهُ الأميـــــرَ فـــــإنّني ســـــآخُذُ مِـــن حالاتِـــهِ بنَصـــيبِ[129]

ومرَّ بنا نقد البروجردي لنقد الصاحب على البيت هذا، وكيف أبانَ عن توهمه الخاطئ في أن البيت في التسلية، في الوقت الذي جاء به المتنبي للدعاء للممدوح، فهو يقصد: لا أحزنَ اللهُ الأميرَ فإنّ حزنه يستتبع حزني لمشاركتي إيّاه في أحواله، فلا أصابه اللهُ بحزن لئلاّ أحزن، وقد عبّر عنه البرقوقي بقوله: ((والمعنى واضح وجميل))[130]، وعدّ نقد الصاحب له في غير موضعه (131) .

كما انتقد الصاحب مطلع الشاعر الذي يقول فيه:

شَـــدِيدُ البُغْـــدِ مِـــن شُـــرْبِ الشَّـــمُولِ تُـــرُنْجُ الهِنْـــدِ أوْ طَلْـــعُ النَّخِيـــلِ[132]

وعلّق عليه بقوله: ((فلا أدري استهلال الأبيات أحسن؛ أم المعنى ابدع؛ أم قوله(ترنج) أفصح ؟))[133].

ولو علم الصاحب سبب قول المطلع لما انتقده لو كان ناقداً منصفاً، إلاّ إذا كان يغضّ النظر عن ذلك، بقصد الإساءة، وهذا ما نعتقده ، فالشاعر نظم هذا البيت حين حضر مجلس سيف الدولة، وكان بين يدي الأخير أترج (وهو جنس من الليمون)، وطلعٌ، وهو يمتحن الفرسان، فقال له أحد الحضور: لا تتوهّم هذا للشرب، فقال المتنبي بيته هذا، وكان يعني به: أنّ الأترج أو الطلع بعيد من أنْ تشرب الخمر على رؤيته، أمّا فيما يتعلّق بلفظة (ترنج) التي سخر منها الصاحب، فهي لغة في (الأترج)[134]، وبذلك لا نرى أيّة غرابة في البيت.

كما لا نعلم سبب انتقاده لمطلع الشاعر الذي يقول فيه:

قـــد سَـــمِعنا مـــا قُلْـــتَ فـــي الأحـــلامِ وأَتَلْنَـــاكَ بَـــدْرَةً فـــي المَنَـــامِ[135]

إذ كتبه المتنبي تعليقاً على رسالة بعثها أحد الشعراء إلى سيف الدولة، يشكو فيها الفقر، ويذكر أنّه رآها في المنام. فما سرُّ الانتقاد ؟

وانتقد الصاحب مطلعاً من اجمل مطالع المتنبي، ألاَ وهو قوله:

أَراعَ كـــــذا كُـــــلَّ المُلُـــــوكِ هُمـــــامُ وَسَـــحَّ لَـــهُ رُسْـــلَ المُلُـــوكِ غَمَـــامُ[136]

إنّ مشكلة الصاحب الرئيسة في رسالته، أنّهُ لم يُعطِ سبباً للانتقاد، وإنّما يأتي بالبيت، ثم يعلّق عليه بكلام لا يروي من عطش، ولا يُغني من جوع ، ففي البيت هذا يريد المتنبي القول زعن طريق الاستفهام الانكاري التعجّبي: هل راع ملكٌ الخلق جميعاً كما أرى من روعك إيّاهم؟ وهل تقاطرت رسل الملوك على ملك كما تقاطرت عليك ؟ وجعل توالي الرسل إليه كسحِّ الغمام، أي جعل توافد رسل الملوك كالمطر الذي يصبّه الغمام [137].

وسخر الصاحب سخرية شديدة من مطلع الشاعر الذي مدح فيه بدر بن عمّار، وكان قد سقاه ولم يكن له رغبة في الشراب، وهو قوله:

لَـــمْ تَـــرَ مَـــنْ نَادَمْـــتُ إلاَّكـــا لا لِسِـــوى وُدِّكَ لِـــي ذاكـــا[138]

أراد المتنبي: إنّي لم أُنادم أحداً غيرك، وليس ذلك لشيء سوى ودِّك لي، أي انّما أُنادمك لأنّك تودّني لا لمعنى آخر، أمّا فيما يخصّ استخدامه (إلاك)، فصحيح أنّ على الشاعر أنْ يقول: إلاّ إيّاك، لأنّ (إلاّ) ليس لها قوّة الفعل، ولكن ذلك جائز في ضرورة الشعر[139].

وعدَّ مؤلّف الرسالة قول المتنبي:

أُحـــادٌ أمْ سُـــداسٌ فـــي أُحـــادِ لُيَيْلَتُنـــا المَنُوطَـــةُ بالتَّنـــادِ[140]

من الرطانة والكلام الذي لا يُفْهَم، وجعل الفاظ الشاعر ملفوظة، ومعانيه منبوذة، وربّما في كلامه شيء من الصحّة، إذ إنّه لا يُفْهَم إلاّ بعد طول تأمّل، ولكن ربما يكون الشاعر قاصداً في جعل مطلعه بهذا الشكل كما ذكرت سابقاً؛ لإثارة الانتباه، وجذب السامعين، وضمان الإنصات لما سيقوله فيما بعد، وعلى أيّة حال، أراد الشاعر القول: هل هذه الليلة واحدة أم ليالي الدهر كلها جُمِعَتْ في هذه الليلة الواحدة حتّى طالت وامتدّت إلى يوم القيامة ؟ فهي لطولها بمنزلة ليالي الدهر كلها، إلاّ أنّ كلّ واحدة من تلك الليالي طويلة أيضاً حتّى كأنّها ست ليالٍ في ليلة– أي سبع ليال– يعني أنّ ليلته دهر بلياليه، وكل ليلة منه أسبوع، وهي نهاية المبالغة في الطول[142].

وما ذا ينتظر الصاحب من الشاعر أن يقول عندما يعرف جماعة تحدّثوا عنه بالسوء، لينتقد بيته الذي يفضّل فيه نفسه عليهم، ويجعلهم كلاباً تنبح ؟

أنـــا عَـــينُ المُسَـــوَّد الجَحْجَـــاحِ هَيَّجَتْنِـــي كِلابُكُـــمْ بالنّبـــاحِ[143]

فهو إنّما هجاهم لكلامهم عليه بالسوء، ولا نعلم وجهاً لانتقاد الصاحب له، سوى محاولة النيل من أبي الطيب في أيّة مناسبة، حتّى وإنْ كان غير محقٍّ فيها.

كما لا نعلم لماذا يلامُ الشاعر إذا كان متمكناً من ناصية اللغة، عارفاً بأسرارها ومعانيها، قادراً على التحكم فيها، وذلك ما فعله الصاحب مع بيت المتنبي الذي يقول فيه متغزّلاً:

لِجِنيّـــةٍ أمْ غَـــادَةٍ رُفِـــعَ السَّـــجْفُ لِوَحْشِـــيَّةٍ لا مَـــا لِوَحْشِـــيَّةٍ شَـــنْفُ[144]

والسجف: جانب الستر إذا كان بنصفين، والشنف: ما يعلق في أعلى الأذن، فالشاعر يتعجّب من محاسن المحبوبة، فيقول مستفهماً: هذه التي رفع لها السجف جنيّة أم امرأة حسناء؟[145].

إذن، كان أكثر ذمّ الصاحب لمطالع المتنبي على النحو هذا، من دون مسوّغ أو وضوح رؤية، أو صحّة تعليل، تعزّز أقواله لدى المتلقين، وحتّى إنْ كان صادقاً في بعضها، فانه لا ينحو بها إلى النقد البنّاء، وإنما يستغلّ ذلك الخطأ للنيل من الشاعر، والسخرية منه، ومن عشّاق شعره كما قلنا سابقاً.

2- الألفاظ:

انصبَّ أكثر انتقاد الصاحب لشعر المتنبي على الألفاظ أو الكلمات التي استخدمها في بعض أبيات شعره، حتّى أنّه ليمكننا القول: إنّ حوالي ثلث ما جاء في الرسالة كان انتقاداً للألفاظ، ونسي الصاحب أنّه إنّما يأتي بحالات فردية لا يمكنها أنْ تؤثر في شعر الشاعر، ولو كان محقّاً في انتقاده، لكان حرياً به الإتيان بمجموعة لا بأس بها من الشواهد التي تؤكد فشل المتنبي، وتدّل في الوقت نفسه على قصور ألفاظه، ولكن ما فعله الصاحب هو أنّه كان يأتي بمثال واحد فحسب، وهذا لا يُشكّل خرقاً في لغة الشاعر، ولا ينتقص منه اطلاقاً، لأنّ استخدام بعض الألفاظ في غير محلّها يمكن أنْ يَرِدَ لدى الشعراء جميعاً، فضلاً عن ((أنّ اقتطاع جزء من قصيدة يميت فيه حيويته ويفصله عن جذوره كاقتطاع أي عضو من كائن حي، وحتّى القصائد التي تفتقد وحدة الموضوع يجب أن تُقْرأ ككل وأنْ نُفكّر بأحاسيس قائلها وتجربته، ولابدَّ من علاقة تربط بين الموضوعات التي تتناولها القصيدة، وهذه العلاقة هي الشاعر نفسه، وعلينا الاَّ نتناساه، ومن حقِّه أن نفهمه، ولكل قصيدة إطار ينتظم أبياتها، مهما تعدَّدت أغراضها))[146] ، فما بالنا إذا كان الجزء المقتطع كلمة من البيت الشعري، بمعنى أنّ انتقاد الصاحب لكلمات معينة من شعر الشاعر لم يكن في موضعهِ، ولاسيما إذا ما علمنا انّه لم يكن محقاً في الكثير منها، فضلاً عن أنّ ((افكار المتنبي، ومعانيه هي كل ما يقلقه، فإذا ما تهيّأت له أفصح عنها إفصاح مقتدر جبّار، ولو نفرت اللغة، ولو نَبَتْ بعض الألفاظ. للمتنبي نهج خاص في المحدثين، ونظرة خاصة في الفن))[147].

ومن الأبيات التي انتقدها الصاحب في رسالته من دون مسوّغ نقدي، قول الشاعر:

إنْ كـــانَ مِثْلُـــكَ كـــانَ أو هُـــوَ كـــائِنٌ فَبَرِئْـــتُ حِيْنَئِـــذٍ مِـــنَ الاسْـــلاَمِ[148]

إذ انتقد كلمة (حينئذ) ، قائلاً: إنّها هنا ((أَنْفَرُ مِنْ عَيْرٍ مُنْفلت))[149].

وعدَّ الصاحب كلمة (آخائه) في بيت المتنبي الآتي، من الكلمات النادّة [150]، علماً أنّها في الديوان لم تَرِدْ بهذه الرواية، وإنّما وردت (آبائه) :

كـــلُّ آبائِـــهِ كِـــرامُ بَنـــي الدُّنـــيا ولكنَّـــهُ كَـــريمُ الكِـــرامِ [151]

يقصد الشاعر أنَّ عشيرته أكرم أهل الدنيا وهو أكرم عشيرته، وسواء أكانت الكلمة(آخائه) أم (آبائه) ، فإننا لا نجد مسوِّغاً لانتقادها.

ثم أن الصاحب كان ينتقد الشاعر على بعض الألفاظ التي ترد في شعره غير الجاد، بل الشعر الذي يأتي للمزاح ربّما، أو في مجلس الشراب، ومن ذلك قول أبي الطيّب:

نـــالَ الـــذي نِلْـــتُ مِنْـــهُ مِنِّـــي لله مـــا تَصْـــنَعُ الخُمُـــورُ

وذا انصـــــرافِي إلـــــى محلِّـــــي أآذِنٌ أيُّهـــــــــا الأميـــــــــرُ (152)

يريد أنّ الشراب الذي نلتُ منه باحتسائه نال مني بالأخذ من عقلي وحيويتي، ثم تعجّب ممّا تفعله الخمر.

وانتقد أيضاً لفظتي (البرنيَّ والازاذ)– وهما نوعان من التمر– في قول المتنبي:

فَغَـــدَا أسِـــيراً قـــد بَلَلْـــتَ ثِيابَـــهُ بِـــــدَمٍ وَبَـــــلَّ بِبَوْلِـــــهِ الأفخـــــاذا

[....]

فكأنَّـــــهُ حَسِـــــبَ الأَسِـــــنَّةَ حُلْـــــوَةً أو ظَنَّهـــــــا البَرْنـــــــيَّ والآزَاذَا (153)

فجاء هذا الانتقاد غريباً؛ إذ لا نرى حجة له في انكارهما على الشاعر سوى التحامل الذي عُرِفَ به عليه، فالشاعر لم يقل أكثر من انّه تعوّد أكل الرطب والتمر وليس هو من أهل الطعان والحرب، فكأنّه ظنَّ الحرب تمراً يأكله.

كما لا نعلم وجه الانتقاد في قول الشاعر:

رَمَانِي خِساسُ النّاس مِن صائِبٍ اسْتِهِ وآخَـرُ قُطْـنٌ مِـنْ يَدَيْـهِ الجَنَـادِلُ (154)

لأنّ الشاعر يقول: عابني أخسّاء الناس واراذلهم من بين مَن يُصيب استه ما يرميني به، أي يلحقه ما يعيبني به، وآخر لا يؤثر ما يرميني به ولا ما يعلق بي ما يقوله فيَّ كأنّه يرميني بقطعة قطن (155).

ويتجاوز الامر بالصاحب إلى انتقاد مجموعة ألفاظ في أبيات المتنبي، قد يكون محقاً في بعضها، وقد لا يكون محقاً في بعضها الآخر، من ذلك انتقاده لقول المتنبي الذي جمع فيه الفاظاً عدّة في غرض المديح:

الحـــازِمَ الـــيَقِظَ الأغَـــرَّ العـــالِمَ الـــ ـــــفَطِنَ الألـــــدَ الأريحـــــيَّ الأرْوَعَـــا

الكاتـــبَ اللّبِـــقَ الخَطِيـــبَ الواهِـــبَ النَّـــدُسَ اللَّبيـــبَ الهِزْبـــريَّ المِصْـــقَعا (156)

وكما في قوله:

ولا الضِّـــغْفَ حتّـــى يَتْبَـــعُ الضِّـــغْفَ ضِـــغْفُهُ ولا ضِـــغْفَ ضِـــغْفِ الضِّـــغْفِ مِثْلَـــهُ أَلْـــفُ(157)

وإنْ كان الصاحب محقاً في بعض ما انتقده من ألفاظ فيما مضى، فانه لم يكن كذلك فيما سيأتي، فقد انتقد ألفاظاً في أبيات المتنبي، لم يكن نزيهاً في انتقاده عليها؛ لانها كانت طبيعية جداً، ولا يؤاخذ عليها الشاعر كما سنرى.

ومن ذلك – مثلاً– انتقاده للفظة(التَّوراب) في قول أبي الطيب:

أَيَفْطِمُـــــهُ التَّـــــوْرابُ قَبْـــــلَ فِطامِـــــهِ وَيَأكُلُـــــهُ قَبْـــلَ البُلُـــوغِ إلـــى الأكْـــلِ(158)

فالتوراب لغة في (التراب)، وجاء البيت على شكل استفهام انكاري، بمعنى أيفطمه التراب عن أمه باشتماله عليه قبل أن تفطمه أمّه ويأكله التراب قبل أن يبلغ هو أنْ يأكل (159) .

ومثل ذلك انتقاده للفظة (المطهّم) في قول الشاعر، وقد سأله سيف الدولة عن وصف فرس يهديه إليه:

وَمِـــنَ اللّفْـــظِ لَفْظَـــةٌ تَجْمَـــعُ الوَصْـــ ـــــفَ وذَاكَ المُطهَّـــــمُ المعْـــــرُوفُ(160)

فكلمة (المطهّم) تعني: التام الجمال، فلماذا انتقدها الصاحب وهو اعرف الناس بمعناها؟ إذ هي من الألفاظ التي تُوصَف بها الخيل.

كما انتقد تعداد الأسماء في قول الشاعر:

وأنتَ أبو الهَيجا ابْنُ حَمَدانَ يا ابنَهُ تَشَابَهَ مَوْلُودٌ كَرِيمٌ وَوَالِدُ

وحَمَدانُ حَمْدُونٌ وحَمْدُونُ حارِثٌ وحارثُ لُقْمانٌ ولُقْمانُ راشِدُ (161)

فهؤلاء آباء سيف الدولة ، يقول: أنت تشبه أباك، وأبوك يشبه أباه ، وأبوه أباه وهكذا، وقد ردَّ ابن فورجة البروجردي على نقد الصاحب بقوله: أما سبك البيت فأحسن سبك، فان كان استقبح الأسماء فليس في حمدان ما يستقبح من اللفظ، بل والمعنى، كيف يصنع والرجل اسمه هكذا وهكذا آباؤه ؟(162) .

ومن انتقاداته المرفوضة، انتقاده للفظة (الدولات) في قول المتنبي:

فإنْ تَكُنْ الدَّولاَتُ قِسْماً فأنّها لِمَنْ وَرَدَ المَوْتَ الزُّؤَامَ تَدُولُ(163)

يقول: إذا كانت الدولة قسماً لبعض الناس فإنها قسمة مَن حضر الحرب، وشهد مواقع القتال، وورد الموت الزؤام غير متهيّب ولا مكترث، فضلاً عن أنّ لفظة (الدولات) جمع دولة .

ووما يثير استغرابنا حقّاً هو الألفاظ التي استكرهها الصاحب في بيت المتنبي:

وما مَطَرَتْنِيهِ مِنَ البِيضِ والقَنا وَرُومِ العِبِدَّى هاطِلاَتُ غمامِهِ(164)

فأين الألفاظ المُستكرهة في بيته الذي يقول فيه: وأسير فما أمطرني به سحاب جوده من السيوف والرماح يحملها العبيد الرومية، يعني أنّه وهب العبيد بسلاحها ؟ .

إنّ بعض ما أخذه الصاحب على الشاعر أبي الطيّب ، كان يدل من وجه آخر على عبقريته، وحسن تصرّفه باللغة ، ومقدرته على جعلها طوع يديه، وربما كان يقصد إلى ذلك قصداً؛ لاثبات تمكنه ذلك، والتعبير من جانب آخر عن امتلاكه لناصية اللغة، فمن ذلك قوله الذي رفضه الصاحب:

جَوابُ مُسائِلي أَلَهُ نَظِيرُ وَلاَ لَكَ فِي سُؤَالِكَ لا أَلاَ لاَ(165)

يعني: إذا سألني سائلٌ فقال : هل لهذا الممدوح نظير؟ فجوابه: لا، ولا لك أيضاً في هذا السؤال، لأنّ أحداً لا يجهل هذا غيرك، فانت في جهلك به بلا نظير، واراد (لا) و (لا لك) فأخّر المعطوف عليه ضرورة، وكرّرَ النفي بقوله (ألاَ لاَ) اشارة إلى أنّ جهل هذا السائل يوجب اعادة الجواب عليه (166) .

فهذا إذن، من عبقرية الشاعر اللغوية، لا ما يمكن أنْ يؤاخذ عليه، فضلاً عن انّه جاء للضرورة الشعرية كما هو معروف، ولاسيما أنّ ورود تلك الحالات في شعره ، كانت فردية، ولا تتكرر إلاّ نادراً، لذا فهي لا تنتقص من قيمة المتنبي الشعرية، ولا من كفاءته في فنّه.

وفي بعض آراء الصاحب صدق فيما يتعلّق بالفاظ المتنبي، فضلاً عن معانيه، فهو قد تجاوز الحدود فعلاً حين استخدم لفظة (جبرين) بدلاً من (جبريل) مع انها لغة فيه، ولكن تجاوزه لم يقف عند هذا الحد، بل تمادى أكثر من ذلك حين جعل الممدوح أمانة لا يؤتمن عليها جبريل(عليه السلام) وذلك في قوله:

لَعَظُمْتَ حتّى لو تَكُونُ أمانَةً لما كان مُؤْتَمَناً بها جِبرِينُ[167]

ولكن إساءة المتنبي في بيته هذا لم تكن بمثل إساءة الصاحب نفسه في شعره، وذلك حين أفاد من قضيّة التحكم بالريح من لدن النبي (سليمان بن داود) (عليهما السلام)، وربطها بمسألة نخجل من ذكرها، ولكن لكي نبرهن على أنّ الصاحب أساء هو الآخر اساءة أشدّ من اساءة المتنبي، فَيُذْكَر أنّ أحد حضّار مجلس الصاحب قد غَلَبَتْهُ عيناه مرّةً فخرج منه ريحٌ لها صوت، فخجل وانقطع عن المجلس، فقال الصاحب: أبلغوه عنّي:

يا ابنَ الخضيري لا تذهبْ على خجلٍ لحادثٍ منك مثل الناي والعودِ

فإنها الريح لا تستطيع تحبسها إذ لستَ أنتَ سليمانَ بنَ داودِ[168]

فيا تُرى، هل هذه المناسبة تبيح للشاعر ذكر اسم النبي سليمان(عليه السلام)؟ ومَن كان أكثر إساءة هو أم المتنبي؟ .

ولا ينفكُّ الصاحب عن الكلام على اضطراب الألفاظ في شعر المتنبي، من دون توضيح أي الألفاظ منها كان يعني، ومن ذلك انتقاده لبيت المتنبي الذي يقول فيه مادحاً:

قَدْ خَلَّفَ العبَّاسُ غُرَّتَكَ ابْنَهُ مَرْأىً لنا والى القِيامَةِ مَسْمَعَا[169]

فهو يريدُ القول: قد خلّف أبوك العباس لنا طلعتك لنشاهد فضلك وكرمك وليبقى ذكرها إلى يوم القيامة، فأين الألفاظ المضطربة في البيت هذا ؟ .

ومن نقده لألفاظ المتنبي، ما جاء به حول لفظة (المتديريها) في قول الشاعر:

أُسَائِلُهَا عَنِ المُتَدَيِّرِيْهَا فلا تَدْرِي ولا تُذْرِي دُمُوعا[170]

وكان الشاعر يريد بتلك اللفظة: المتخذيها داراً .

إنّ الناقد الجاد عليه– قبل انتقاد ألفاظ الآخرين في قصائدهم– أنْ يُهَذِّبَ ألفاظه قبلهم، كي لا يصبح كمن ينهى الناس عن عملٍ ما ولا ينهى نفسه عن القيام به، فالصاحب الذي انتقد لفظة (سراويلاتها) في بيت المتنبي:

إنّي على شَغَفِي بما في خُمْرِها لأَعَفُّ عمَّا في سَراوِيلاتِها[171])

قائلاً عن البيت: ((وكثيرُ من العُهر أحسن من عفاف هذا الشاعر))[172]، وكان هو نفسه يأتي بألفاظ في شعره، كان عليه أنْ يخجل من نظمها فيه، فلم يصل لفظ المتنبي إلى مستواها في الانحطاط والرذيلة، فضلاً عن اختلاف الغاية بين قول المتنبي العفيف، واقوال الصاحب التي لا تتسم بتلك الصفة، فهو القائل مثلاً:

تدعو معاويةً أماماً عادلاً رجلي ورأسُكَ في حِرِ أُمِّ الكاذِبِ[173]

وهو القائل أيضا في الغزل بالمذكر:

وشادنٍ جمالُهُ تَقصِرُ عنهُ صِفتي

اهوى لتقبيل يدي فقلتُ: قَبِّل شَفَتِي[174]

فأين لفظة (سراويلاتها) من الألفاظ (الحِر، وتقبيل الشفة) ؟.

ولكن ما يبدو أكثر تجنيّاً من لدن الصاحب على المتنبي، هو ما اعتقده بعضهم من تغيير بعض الكلمات في شعر الشاعر، ومن ثم انتقادها، كما في لفظة (مُسْبَطِرّ) التي انتقدها الصاحب في بيت أبي الطيب الذي يرثي فيه والدة سيف الدولة الحمداني:

رِواقُ العِـــــزِّ حَوْلَـــــكِ مُسْـــــبَطِرٌّ ومُلْـــكُ عَلِـــيٍ ابْنِـــكِ فـــي كمـــالِ[175]

اذ يروي أبو بكر الشعراني خادم المتنبي أنّ الشاعر قال بدلاً من (مُسْبَطِر) (مُسْتَظِلّ)[176]، لذا يرى الدكتور إحسان عبّاس أنه إذا صدّقنا خادم المتنبي يكون الصاحب قد اخترع اخطاء ليردّ عليها، فزاد موقفه ضعفاً وتحامله افتضاحاً[177] .

وعلى النحو هذا انتقم الصاحب من المتنبي، وشفى غليله من عدم مدحه إيّاه، مع أنّه هو القائل :

فلســـتُ اريـــدُ السّـــوء بالنـــاس إنّمـــا أريـــدُ بهـــم خيـــراً مريـــعَ الجوانِـــبِ[178]

إلاّ انّه لم يلتزم بما قاله مع أبي الطيب، فلم يغض طرفه عن عيب وجده، ولم يستر هفواته، بل فعل ما هو أكثر من ذلك حين تجنّى عليه، وسخر منه ومن عشاق شعره ، وقيل: ((من عادة الكريم إذا قدر غفر ، واذا رآى زلّة ستر، وقالوا: ليس من عادة الكرام سرعة الغضب والانتقام، وقيل: من انتقم فقد شفى غيظه واخذ حقّهُ فلم يجب شكره ولم يحمد في العالمين ذكره ، والعرب تقول: لا سوودد [كذا] مع الانتقام والذي يجب على العاقل إذا مكّنه اللهُ تعالى أن لا يجعل العقوبة شيمته، وإنْ كان ولابدّ من الانتقام فليرفق في انتقامه))[179].

3- السرقات:

على الرغم من أن مشكلة السرقات في الشعر العربي مشكلة قديمة، وتناولها النقاد بمصطلحات متعددة، وحاول بعضهم التخفيف من حدّة مصطلحها، وعدُّوها تأثّراً وتأثيراً، إلاّ أنّ الصاحب بن عباد جعلها مأخذاً كبيراً على الشاعر، ولم يكتف بهذا فحسب، بل ذهب باحثاً في الشعر العربي ، ليأتي بأبيات لشعراء سبقوا المتنبي، فيها تشابه مع شعره حتّى ولو في لفظة واحدة ، ليؤكّد سرقته منهم، على الرغم من الخلاف الدائر حول الموضوع هذا كما ذكرنا.

وفي الموضع هذا سنمثّل بأبيات المتنبي التي جاء بها الصاحب على انّها سرقات من بعض الشعراء الذين سبقوه زمنياً، بمعنى: أنّنا سنسردها سرداً كما جاءت في الرسالة، ومن ثم سنعلّق عليها بما يتناسب بمكانة الشاعر والأديب على حدٍّ سواء.

ومن تلك الابيات قول ابي الطيب:

وَلَلتَّـــرْكُ للإحْســـانِ خَيْـــرٌ لمُحْسِـــنٍ إذا جَعَـــلَ الإحْسَـــانَ غَيْـــرَ رَبيـــبِ

فالصاحب يلمّح في رسالته إلى أنّ هذا البيت مأخوذ من قول أبي تمام:

إسَـــاءَةَ الحادِثـــاتِ اسْـــتَبْطِني نَفْقـــاً فَقَـــدْ أظَلَّـــكِ إحســـانُ ابـــنِ حَسَّـــانِ[180]

ولا ندرك تشابهاً في البيتين، باستثناء كلمة (إحسان)! .

ومن ذلك أيضا، قول المتنبي:

شَـــوائِلَ تَشْـــوالَ العَقـــارِبِ بالقنـــا لهـــا مَـــرَحٌ مِـــنْ تَحْتِـــهِ وَصَـــهِيلُ

يرى الصاحب أنّه من قول بشار بن برد:

والخَيْـــلُ شـــائِلَةٌ تَشُـــقُّ غُبَارَهـــا كَعَقَـــارِبٍ قَـــدْ رَفَّعَـــتْ أذْنابَهـــا[181]

وقال أبو الطيب:

يـــامَنْ يُقَـــتِّلُ مَـــنْ أرادَ بِسَـــيْفِهِ أصْـــبَحْتُ مِـــنْ قَـــتْلاكَ بالإحْسَـــانِ

يرى الصاحب أنّه من قول الشاعر:

أصلحتني بالجودِ بل أفسدتني[182]

ولا نعلم مَن هو الشاعر ! .

ومدح المتنبي الحاجب بقوله:

فـــي رُتبَـــةٍ حَجَـــبَ الـــوَرَى عَـــنْ نَيْلِهـــا وَعَـــــلا فَسَـــــمَّوْهُ علَـــــيَّ الحاجِبـــــا

يعتقد الصاحب أنّه من قول ابن الرومي:

كـــأنَّ أبـــاهُ يـــوم ســـمَّاهُ صـــاعِداً رأى كيـفَ يَرْقَـى فـي المعـالي وَيَصْـعَدُ[183]

وسخر الصاحب سخرية شديدة من بيت المتنبي الذي يقول فيه:

عَظُمْـــتَ فَلَمـــا لـــمْ تُكَلَّـــمْ مَهَابَـــةً تَواضَـعْتَ وهـو العُظْـمُ عُظْمـاً عَـنِ العُظْـمِ[184]

قائلاً عنه: ((فما أكثر عظام هذا البيت، ولو وقع عليه أبو الكلاب بجميع[كذا] كلابه وهي جائعة لكان لهم فيه قوت))[185].

وليس في البيت أيَّ عَظْمٍ كما قال الصاحب ساخراً، ثم أنّه هو نفسه استخدم ألفاظاً متشابهة في شعره مرات عدّة، فلم يكن المتنبي بدعاً في ذلك، كقوله على سبيل المثال لا الحصر:

قـــد قَـــبَسَ القابِســـاتِ قـــابوسُ ونجمُـــهُ فـــي الســـمَاءِ مَنْحـــوسُ[186]

وقوله أيضا:

وقـــال: تبغـــي قُبْلـــةً علـــى عَجَـــلْ قلـــتُ: أجـــلْ ثـــم أجـــلْ ثـــم أجـــلْ[187]

وعلى العموم فهو يرى في بيت المتنبي تأثّراً بقول أبي تمام:

تعظمت عن ذاك التعظُّم منهُمُ وأوصاك نُبلُ القدر ألاّ تنبّلا (188)

كما رأى الصاحب انّ المتنبي تأثّر بقول ابي تمام:

شـــابَ رأْسِـــي ومـــا رأيـــتُ مَشِـــيبَ الـــرَّأ ـــــس إلاّ مِـــنْ فَضْـــلِ شَـــيْبِ الفُـــؤادِ

إذ عمد إلى معناه، فأخذه ونقل الشيب إلى الكبد وجعل له خضاباً ونصولاً، فقال:

إلاّ يَشِـــب فَلَقَـــدْ شـــابَتْ لَـــهُ كَبِـــدٌ شَـــيْباً إذا خَضَّـــبَتْهُ سَـــلْوَةٌ نصـــلَا[189]

ويلمّح الصاحب إلى أنّ قول المتنبي:

لَـوْ لَـمْ تَكُـنْ مِـنْ ذَا الـوَرَى اللَّـذْ مِنْـكَ هُـوْ عَقِمَـــتْ بِمَوْلِـــدِ نَسْـــلِها حَـــوَّاءُ

مأخوذٌ من قول أبي نواس:

فَرَحْمَـــــــةُ اللهِ علـــــــى آدَمٍ رَحْمَـــةً مَـــنْ عَـــمَّ ومَـــنْ خَصَّصـــا

لـــو كـــان يـــدري أنّـــه خـــارجٌ مثلـــك مـــن احْليلـــهِ لاخْتَصَـــى[190]

كما يرى أنّ في قول المتنبي:

ومـــنْ جاهِـــلٍ بـــي وَهْـــوَ يَجْهَـــلُ جَهْلَـــهُ ويَجْهَـــلُ عِلْمِـــي أنّـــه بِـــي جَاهِـــلُ

سطواً على قول الخليل بن أحمد الفراهيدي:

لكـــنْ جَهِلْـــتَ مقـــالتي فَعَـــذَلتني وعَلِمْـــتُ أنَّـــكَ جاهِـــلٌ فعـــذرتُكا[191]

أمّا قول الشاعر:

جَفَخَـــتْ وَهُـــمْ لا يَجْفَخُـــونَ بِهـــا بهِـــمْ شِـــيَمُ علـــى الحَسَـــبِ الأغَـــرِّ دَلاَئِـــلُ

فيرى فيه الصاحب صورة من قول الشاعر:

أتوعـــدني بِجَفـــخِ بنـــي عُمَيْـــرٍ وقـــد افحمـــتُ شـــاعرَ كُـــلِّ حـــيِّ

وكذلك يراه من قول الشاعر:

أَجَفْخـــاً إذا ماكنـــتَ فـــي الحـــيّ آمنـــاً وجُبنـــاً إذا مـــا المشـــرفيَّةُ سُـــلَّتِ[192]

أما عن رأينا فيما يتعلق بالجانب هذا، فنحن نرى أنّ التأثّر بأقوال السابقين ممّا لم يسلم منه أيّ شاعر من الشعراء، سواء في القِدَم أو في الوقت الحاضر، فهو ليس معيباً عليهم، ولا سيما إذا ما جاء ذلك التأثّر عفو الخاطر من غير قصد، أو بمعنى أنّه كان من ضمن محفوظ الشاعر، فتأثّر به في عقله الباطني من دون وعي أو قصد للسرقة.

أمّا إذا عددنا ذلك من السرقة وسلمنا به، كما فعل الصاحب، فاننا نقول للصاحب: إذا كان المتنبي قد تأثّر ببعض أبيات الشعراء الذين سبقوه من دون قصد، فانّك قد عزمت على السطو على معانيه الجميلة، وتمثلت بها في أشعارك ورسائلك على السواء.

فقد رُوِيَ عن الصاحب، أنّه كان يُغير على معاني أبي الطيّب، وعند ما سُئِلَ عن أخذه معانيه، قال: كما أخذ هو بعض معانيه من الشعراء الآخرين[193]، وكان يُحوّل بعض أبيات المتنبي في معانيها إلى كلام منثور ويتمثّل به في رسائله ومكاتباته بقصد منه [194]، فعجباً لمن ينتقد الآخرين على أفعاله، ويفعل هو الأفعال نفسها ! .

أمّا عن معاني الصاحب التي أخذها من المتنبي، إعجاباً بها، واعترافاً بجودة صورتها وصياغتها، فمنها على سبيل المثال لا الحصر، قوله:

لَبِسْـــنَ بـــرودَ الوشـــي لا لـــتجمُّلٍ ولكـــنْ لصـــونِ الحســـن بـــين بـــرودِ[195]

أخذه من قول المتنبي:

لَبِسْـــنَ الوَشْـــيَ لا مُـــتَجَمِّلاتٍ ولكـــنْ كَـــيْ يَصُـــنَّ بِـــهِ الجَمَـــالا[196]

أمّا قوله:

تَجَشَّـــمْتُها واللَّيـــلُ وَحْفٌ جناحُـــهُ كـــأنِّي سِـــرٌّ والظـــلامُ ضـــميرُ[197]

فانه أخذه من قول أبي الطيب:

وكُنـــتُ إذا يَمَّمْـــتُ أرْضـــاً بَعِيـــدَةً سَـرَيْتُ وكُنْـتُ السِّـرَّ واللَّيـلُ كاتِمُـهْ[198]

كما أخذ قوله:

يـــا مَـــنْ وهبـــتُ لَـــهُ روحـــي فعـــذّبها ورُمـــتُ تخليصَـــها منـــهُ فلـــمْ أُطِـــقِ

أدركُ بقيّـــةَ نفـــسٍ فيـــك قـــد تلفـــتْ قبـــل المَمـــاتِ فهـــذا آخـــر الرمَـــقِ

ولـــو مضـــى الكُـــلُّ منهـــا لـــمْ يكـــنْ عَجَبـــاً وانّمـــا عَجَبِـــي للـــبعضِ كيـــفَ بَقِـــي[199]

من قول المتنبي:

وَعَـــذْلتُ أهْـــلَ العِشْـــقِ حتّـــى ذُقْتُـــهُ فَعَجِبْـــتُ كيـــفَ يَمُـــوتُ مَـــنْ لا يَعْشَـــقُ[200]

4- انتقادات مختلفة:

إنّ ما مضى الحديث عنه، كان قد شكّل النسبة الأعظم ممّا قد ورد في رسالة الصاحب بن عباد في الكشف عن مساوئ شعر المتنبي، ولكن تحامل الصاحب على الشاعر، جعله يتخبّط كثيراً في آرائه وانتقاداته، فنراه قد أوقع نفسه في أغلاط كثيرة، إذْ لمْ يتروَّ في أحكامه؛ لأنه كان مندفعاً بعامل الانتقام الذي لا مُسوّغ له سوى إرضاء ذاته المجروحة، لعدم مدح المتنبي له، واعراضه عنه كما مرَّ بنا .

فمن تخبطات الصاحب الغريبة في رسالته، أنّه حينما كان ينتقد بعض أبيات المتنبي، نلاحظ انه يأتي بأبيات أُخر لشعراء غيره على سبيل موازنتها مع تلك الأبيات، في الوقت الذي لا توجد فيه أية روابط بينها، أعني بين أبيات المتنبي والأبيات الأُخر التي يأتي بها، فلا هي تشبهها في الغرض في أكثر الأحيان، ولا في الصورة، ولا في أيّة أشياء أخر، ولتوضيح ذلك نضرب بعض الأمثلة ، ونحيل للحالات الأُخر؛ ليتعرّفها القارئ أكثر إذا ما أراد ذلك.

ومن ذلك انتقاده لبيت الشاعر الذي رثى فيه والدة سيف الدولة:

ولاَ مَـــنْ فـــي جَنَازَتِهـــا تِجَـــارٌ يَكُـــونُ وَدَاعُهـــا نَفْـــضَ النِّعَـــالِ

ثم جاء ببيت لمسلم بن الوليد في الرثاء أيضاً على سبيل الموازنة بينه وبين البيت السابق، وهو قوله:

أرَادُوا ليخفـــوا قَبْـــرَهُ عـــن عَـــدُوِّهِ فطيـــبُ تُـــرابِ القبْـــرِ دَلَّ علـــى القَبْـــرِ[201]

فعلى الرغم من اشتراك البيتين بغرض الرثاء، إلاّ انّ معنى البيتين مختلف تماماً، فضلاً عن اختلاف الصورة والمناسبة.

ومن الأمثلة الأُخر للظاهرة هذه قول المتنبي الذي عابه الصاحب:

((**وتُسْعدنِي في غَمْرَةٍ بَعْدَ غَمْرَةٍ سَبُوحٌ لَهَا مِنها عليها شَوَاهِدُ**

ثم قال الصاحب تعليقاً على البيت: وما أحسنَ ما قال الأصمعي لِمَنْ أنشده:

فما للنّوَى جدّ النّوى قطع النّوى كذاك النّوى قَطّاعةٌ لوصالِ

لو سَلَّطَ اللهُ على هذا البيت شاةً لأكلتْ هذا النّوى كلّه))[2002].

ففضلاً عن عدم توفيق الصاحب في تعليقه الساخر الذي تمثّل به للأصمعي في مناسبة قول المتنبي، فاننا لم نتوصل لأيّة علاقة تُذْكَر بين قول المتنبي، والبيت الذي انشده أحدهم للأصمعي!.

ونستَدلّ بمثال أخير للظاهرة هذه، وهو انتقاد الصاحب لقول أبي الطيب الذي يفتخر فيه بنفسه، قائلاً:

((**انا عينُ المُسَوَّدِ الجَحْجَاحِ هَيَّجَتْنِي كِلابُكُمْ بالنُّباحِ**

ثم قال الصاحب مباشرة: ولا أدري أهذا البيت أشرف أم قول الفرزدق:

إنّ الذي سَمَكَ السماءَ بنى لنا بيتاً دعائمُهُ أعزُّ وأطْوَلُ

بيتٌ زُرارةُ مُحْتَبٍ بفنائهِ ومُجاشعٌ وأبو الفوارس نهشلُ))[203]

ونحن نقول للصاحب: وكما انّك لا تدري أيّ الأبيات أشرف، فإننا لا ندري ما العلاقة بين قول الشاعرين ![204].

وفي بعض الأحيان يأتي الصاحب بأبيات للمتنبي، ثم يعيبها من دون أنْ يسوّغ انتقاداته لها، ويكون بذلك كمن كان ينتقد في عصور النقد الأُول، التي لم تكن تعتمد أساسيات نقدية واضحة سوى الذوق، ومع ذلك فانهم كانوا ينتقدون بخبرة ونزاهة أفضل من الصاحب .

ومن أمثلة ذلك الانتقاد: ما جاء به الصاحب حول احدى قصائد المتنبي قائلاً: ((وليس بالحلو قوله فيها:

صَدَقَ المُخْبِرُ عَنْكَ دُونَكَ وصْفُهُ مَنْ بالعِرَاقِ يَرَاك في طَرَسُوسا))[205]

فهو لم يسوّغ ما الذي ليس حلواً في قول الشاعر هذا، فهو يقول: إنّ الذي أخبر عنك مادحاً مثنياً قد صدق، ووصفه لك دون ما تستحقّه، ثم قال: مَن بالعراق يراك في طرسوس، أي لأنّ آثاره ظاهرة وذكره شائع فكأنّ مَن بالعراق يراه وهو بطرسوس[206].

ويغدو الصاحب أشّد ظلماً في بعض أحكامه في شعر المتنبي، ومن ذلك ما وصف به تشبيه المتنبي بأنّه من التشبيهات المتناسبة في الخذلان، ألاَ وهو قوله:

وَشَوْقٍ كالتَوَقُّدِ في فُؤادٍ كجَمْرٍ في جَوانحَ كالمُحَاشِ[207]

فلا نتصور سرّ انتقاد البيت هذا من لدن الصاحب، وقسوته في حكمه، مع أنّ الشاعر شبه فيه ثلاثة أشياء بثلاثة أشياء، فشبّه شوقه بتوقّد النار، وقلبه بجمر النار، وأضلاعه بشواء أحرقته النار! .

هذا فضلاً عن أحكامه وانتقاداته الخاطئة فيما يخصّ الاستعارات التي وردت في شعر المتنبي[208]، وغير ذلك من الأخطاء التي وقع فيها الصاحب في رسالته، والتي لا نجد مسوّغاً للكلام عليها كلّها، بعد أنْ وضحّنا فيما مضى تجنّيه على الشاعر بالأدلة القاطعة، وبدا لنا من خلال ما مضى كلّه أنّ الصاحب أفاد المتنبي كثيراً من حيث أراد الإساءة إليه، فكان كما قال أبو تمام:

وإذا أرادَ اللهُ نَشْـــــــرَ فضِـــــــيلةٍ طُوِيـــتَ أتـــاحَ لهـــا لســـانَ حَسُـــودِ

لـــولا اشـــتعالُ النّـــارِ فيمـــا جـــاوَرَتْ مـــا كـــانَ يُعْـرفُ طيـــبُ عَـرْفِ العُـودِ[209]

وبغضّ النظر عن كلّ ما قيل سابقاً حول رسالة الصاحب هذه، نقول: فيما لو سلّمنا بصحة الآراء جميعها التي طرحها الصاحب في رسالته حول بعض شعر المتنبي، فان أبا الطيب سيبقى شاعراً عملاقاً بالمقاييس الفنّية كلّها، وأكبر دليل على ذلك كثرة ما كُتِبَ عنهُ وما سَيُكْتَب، فهو شاعر يعطي الكثير في شعره، هذا من جانب.

ومن جانب آخر، إذا ما عملنا إحصائية رياضية بعدد الأبيات التي انتقدها الصاحب في شعر أبي الطيّب، مع عدد أبيات الشاعر كلها في ديوانه، فإننا سنجد أنّها لا تشكّل إلاّ نسبة ضئيلة لا تكاد تُرى بالعين المجردة، إذ بلغ عدد أبيات الشاعر التي انتقدها الصاحب في رسالته(67) سبعة وستين بيتاً فقط، في حين بلغ عدد أبيات الشاعر المتنبي في ديوانه (5346) ستة وأربعين وثلثمائة وخمسة آلاف بيت، موزّعة على (149) مائة وتسع وأربعين قصيدة، و (128) مائة وثماني وعشرين مقطوعة ونتفة، وبذلك تكون نسبة الأبيات التي انتقدها الصاحب لا تشكل إلاّ نسبة (1.1/4%) درجة وربع الدرجة بالمائة من مجموع شعر الشاعر، وهذه النسبة لا تنال من أبي الطيب كما أراد لها مؤلف الرسالة، بقدر ما تنال ممّن أراد النيل منه.

الهوامش

1. دراسة نفسية لشخصية المتنبي من خلال شعره/228.
2. المثال والتحوّل آراء ودراسات في شعر المتنبي وحياته/9.
3. ينظر: جنون العظمة في المتنبي مرض نفسي/64.
4. نقلاً عن : أبو الطيّب المتنبي في آثار الدراسين/503-504.
5. الرسالة الموضّحة/3.
6. ينظر: م. ن/2.
7. أخلاق الوزيرين/219.
8. تاريخ النقد الأدبي عند العرب/262.
9. م.ن/291.
10. ينظر: ديوان المتنبي في العالم العربي وعند المستشرقين/31.
11. ينظر: تاريخ النقد الأدبي عند العرب/262.
12. تاريخ النقد الأدبي عند العرب من العصر الجاهلي الى القرن الرابع الهجري/177-178.
13. النثر الفني في القرن الرابع الهجري/319.
14. ينظر: م.ن/118-121، والدسائس الأدبية بين المتنبي والصاحب بن عباد/33-35.

15. ينظر: النثر الفني في القرن الرابع الهجري/118.
16. شعر أبي هلال العسكري/20.
17. م.ن/62.
18. الرسائل 376/3.
19. كتاب الصناعتين/76، وبيت السيد الحميري في ديوانه/404،باعتماد رواية الديوان، وشطر بيت المتنبي في شرح ديوانه 273/3.
20. كتاب الصناعتين/167، والبيت في شرح ديوان المتنبي 98/4.
21. كتاب الصناعتين/176، والبيت في شرح ديوان المتنبي 275/1، باعتماد رواية الديوان.
22. كتاب الصناعتين/369، وبيتا المتنبي على التوالي في شرح ديوانه 25/3 ، 214،باعتماد رواية الديوان.
23. كتاب الصناعتين/402، وبيتا المتنبي على التوالي في شرح ديوانه 249/2 ،245/4،باعتماد رواية الديوان.
24. كتاب الصناعتين/405، وبيتا المتنبي على التوالي في شرح ديوانه 11/3، 80 ،باعتماد رواية الديوان.
25. كتاب الصناعتين/410، والبيت في شرح ديوان المتنبي 243/1.
26. كتاب الصناعتين/421، والبيت في شرح ديوان المتنبي 91/1، باعتماد رواية الديوان.
27. كتاب الصناعتين/428،والبيت في شرح ديوان المتنبي 214/3، باعتماد رواية الديوان.
28. كتاب الصناعتين/494، والبيت في شرح ديوان المتنبي 160/2، باعتماد رواية الديوان.
29. كتاب الصناعتين/494.
30. م.ن/496.
31. ينظر: م.ن/76.
32. ينظر: م.ن/369، 405، 410، 421، 428، 494.
33. ينظر: م.ن/ 167، 176، 402.
34. ينظر: م.ن/ 76، 167، 176، 369، 402، 410، 494.
35. النثر الفني في القرن الرابع الهجري/121، وينظر: الدسائس الأدبية بين المتنبي والصاحب بن عباد /34-35.
36. كتاب الصناعتين/250-251، والبيت في شعر أبي هلال العسكري/77.
37. م.ن/ 266-267.
38. م.ن/ 288.
39. م.ن/ 504.
40. يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر 138/1.
41. ينظر: الكشف عن مساوئ شعر المتنبي/29.
42. م.ن/ 29-31.
43. تاريخ النقد الادبي عند العرب من العصر الجاهلي الى القرن الرابع الهجري/149.
44. الكشف عن مساوئ شعر المتنبي/19-20.
45. ديوان الصاحب بن عباد/125.
46. اللزوميات 132/2.
47. ينظر: تاريخ النقد الأدبي عند العرب من العصر الجاهلي الى القرن الرابع الهجري/141.
48. نقلاً عن: تاريخ النقد الأدبي عند العرب/394-395.

49. الصبح المنبي عن حيثية المتنبي/145-146.
50. تاريخ النقد الأدبي عند العرب من العصر الجاهلي الى القرن الرابع الهجري/149.
51. النثر الفني في القرن الرابع الهجري/311، وينظر: الدسائس الأدبية بين المتنبي والصاحب بن عباد/35.
52. النثر الفني في القرن الرابع الهجري/ 312، وينظر: الدسائس الأدبية بين المتنبي والصاحب بن عباد/35.
53. الدسائس الأدبية بين المتنبي والصاحب بن عباد/36.
54. جنون العظمة في المتنبي مرض نفسي/64.
55. تاريخ النقد الأدبي عند العرب/255.
56. ينظر: الدسائس الأدبية بين المتنبي والصاحب بن عباد/35-36.
57. الكشف عن مساوئ شعر المتنبي/ 50-51 ، وبيت المتنبي في شرح ديوانه 123/1، باعتماد رواية الديوان.
58. نقلاً عن: تاريخ النقد الأدبي عند العرب/ 396.
59. الكشف عن مساوئ شعر المتنبي/51، وبيت المتنبي في شرح ديوانه126/1، وبيت أبي تمام في ديوانه 310/2.
60. نقلاً عن: تاريخ النقد الأدبي عند العرب/396.
61. الكشف عن مساوئ شعر المتنبي/71-72، وبيت المتنبي في شرح ديوانه 226/2.
62. نقلاً عن: تاريخ النقد الأدبي عند العرب/397.
63. م.ن/266-267.
64. م.ن/267.
65. ينظر: م.ن/396، والكشف عن مساوئ شعر المتنبي/72، وشرح ديوان المتنبي 226/2.
66. تاريخ النقد الأدبي عند العرب/ 396.
67. م.ن/397.
68. ينظر:النثر الفني في القرن الرابع الهجري/311، والدسائس الأدبية بين المتنبي والصاحب بن عباد/35.
69. ينظر: تاريخ النقد الأدبي عند العرب/267.
70. تاريخ النقد الأدبي عند العرب من العصر الجاهلي الى القرن الرابع الهجري/150.
71. ينظر: تاريخ النقد الأدبي عند العرب/265-266.
72. الكشف عن مساوئ شعر المتنبي/44.
73. م.ن/45.
74. م.ن/45.
75. م.ن/45.
76. م.ن/47.
77. م.ن/47.
78. م.ن/48.
79. م.ن/48.
80. م.ن/48.
81. م.ن/49.
82. م.ن/50.
83. م.ن/50.

84. م.ن/51.
85. م.ن/51.
86. م.ن/52.
87. م.ن/52.
88. م.ن/53.
89. م.ن/53.
90. م.ن/54.
91. م.ن/55.
92. م.ن/55.
93. م.ن/56.
94. م.ن/58.
95. م.ن/59.
96. م.ن/60.
97. م.ن/60.
98. م.ن/62.
99. م.ن/62.
100. م.ن/62.
101. م.ن/63.
102. م.ن/63.
103. م.ن/63.
104. م.ن/65.
105. م.ن/65.
106. م.ن/66.
107. م.ن/68.
108. م.ن/69.
109. م.ن/70.
110. م.ن/70.
111. م.ن/71.
112. م.ن/71.
113. م.ن/74.
114. م.ن/74.
115. م.ن/75.
116. م.ن/75.
117. ينظر: م.ن/ 54، 56، 58، 59، 60، 61، 67، 73، 74.
118. م.ن/ 46، والآيتان على التوالي: هود/44، والحجر/94.

119. الكشف عن مساوئ شعر المتنبي/47.
120. م.ن/50.
121. م.ن/53.
122. م.ن/55.
123. م.ن/55.
124. م.ن/57.
125. م.ن/68.
126. م.ن/69.
127. م.ن/70.
128. م.ن/73.
129. م.ن/50، والبيت في شرح ديوان المتنبي123/1، باعتماد رواية الديوان .
130. شرح ديوان المتنبي 123/1.
131. ينظر: م.ن/123.
132. الكشف عن مساوئ شعر المتنبي/53، والبيت في شرح ديوان المتنبي157/3.
133. الكشف عن مساوئ شعر المتنبي/54.
134. ينظر: شرح ديوان المتنبي 157/3.
135. الكشف عن مساوئ شعر المتنبي/54، والبيت في شرح ديوان المتنبي70/4.
136. الكشف عن مساوئ شعر المتنبي/56، والبيت في شرح ديوان المتنبي81/4.
137. ينظر: شرح ديوان المتنبي 81/4-82.
138. الكشف عن مساوى شعر المتنبي/60، والبيت في شرح ديوان المتنبي89/3.
139. ينظر: شرح ديوان المتنبي 89/3.
140. الكشف عن مساوئ شعر المتنبي/63، والبيت في شرح ديوان المتنبي52/2.
141. ينظر: الكشف عن مساوئ شعر المتنبي/63.
142. ينظر: شرح ديوان المتنبي 52/2.
143. الكشف عن مساوئ شعر المتنبي/66، والبيت في شرح ديوان المتنبي 254/1.
144. الكشف عن مساوئ شعر المتنبي/67، والبيت في شرح ديوان المتنبي19/3.
145. ينظر: شرح ديوان المتنبي19/3.
146. المثال والتحوّل آراء ودراسات في شعر المتنبي وحياته/52.
147. تاريخ النقد الأدبي عند العرب من العصر الجاهلي الى القرن الرابع الهجري/188.
148. الكشف عن مساوئ شعر المتنبي/50، والبيت في شرح ديوان المتنبي 93/4.
149. الكشف عن مساوئ شعر المتنبي/50.
150. ينظر: م.ن/54.
151. م.ن/54، والبيت في شرح ديوان المتنبي 71/4.
152. الكشف عن مساوئ شعر المتنبي/61، والبيتان في شرح ديوان المتنبي 170/2.
153. الكشف عن مساوئ شعر المتنبي/66، والبيتان في شرح ديوان المتنبي 132/2-133.

154. الكشف عن مساوئ شعر المتنبي/70، والبيت في شرح ديوان المتنبي 214/3.
155. ينظر: شرح ديوان المتنبي 214/3.
156. الكشف عن مساوئ شعر المتنبي/61، والبيتان في شرح ديوان المتنبي 6/3.
157. الكشف عن مساوئ شعر المتنبي/68، والبيت في شرح ديوان المتنبي 25/3.
158. الكشف عن مساوئ شعر المتنبي/49، والبيت في شرح ديوان المتنبي3/ 130 .
159. ينظر: شرح ديوان المتنبي 130/3.
160. الكشف عن مساوئ شعر المتنبي/52، والبيت في شرح ديوان المتنبي 17/3.
161. الكشف عن مساوئ شعر المتنبي/53، والبيتان في شرح ديوان المتنبي 280/1.
162. نقلاً عن: شرح ديوان المتنبي 280/1.
163. الكشف عن مساوئ شعر المتنبي/55، والبيت في شرح ديوان المتنبي 169/3.
164. الكشف عن مساوئ شعر المتنبي/56، والبيت في شرح ديوان المتنبي 87/4.
165. الكشف عن مساوئ شعر المتنبي/58، والبيت في شرح ديوان المتنبي 252/4.
166. ينظر: شرح ديوان المتنبي 252/4.
167. الكشف عن مساوئ شعر المتنبي/60، والبيت في شرح ديوان المتنبي 250/4.
168. ديوان الصاحب بن عباد /143.
169. الكشف عن مساوئ شعر المتنبي/62، والبيت في شرح ديوان المتنبي 9/3، باعتماد رواية الديوان.
170. الكشف عن مساوئ شعر المتنبي/63، والبيت في شرح ديوان المتنبي 254/2.
171. الكشف عن مساوئ شعر المتنبي/75، والبيت في شرح ديوان المتنبي 243/1.
172. الكشف عن مساوئ شعر المتنبي/75.
173. ديوان الصاحب بن عباد/105.
174. م.ن/109-110.
175. الكشف عن مساوئ شعر المتنبي/46، والبيت في شرح ديوان المتنبي 107/3.
176. ينظر: شرح ديوان المتنبي 107/3.
177. ينظر:تاريخ النقد الأدبي عند العرب/397.
178. ديوان الصاحب بن عباد/121.
179. المستطرف من كل فن مستظرف 188/1.
180. الكشف عن مساوئ شعر المتنبي/51، وبيت المتنبي في شرح ديوانه 126/1، وبيت أبي تمام في ديوانه 310/2.
181. الكشف عن مساوئ شعر المتنبي/54-55، وبيت المتنبي في شرح ديوانه 162/3، وبيت بشار في ديوانه 28/4.
182. الكشف عن مساوئ شعر المتنبي/56-57، وبيت المتنبي في شرح ديوانه 234/41.
183. الكشف عن مساوئ شعر المتنبي/62، وبيت المتنبي في شرح ديوانه 180/1، وبيت ابن الرومي في ديوانه 591/2.
184. الكشف عن مساوئ شعر المتنبي/65، وبيت المتنبي في شرح ديوانه 133/4، باعتماد رواية الديوان.
185. الكشف عن مساوئ شعر المتنبي/65.
186. ديوان الصاحب بن عباد/159.
187. م.ن/183.
188. الكشف عن مساوئ شعر المتنبي/65، وبيت أبي تمام في ديوانه 100/3، باعتماد رواية الديوان.

189. الكشف عن مساوئ شعر المتنبي/66-67، وبيت أبي تمام في ديوانه 357/1، وبيت المتنبي في شرح ديوانه 208/3.
190. الكشف عن مساوئ شعر المتنبي/68-69، وبيت المتنبي في شرح ديوانه 109/1، وبيتا أبي نواس في ديوانه /644.
191. الكشف عن مساوئ شعر المتنبي/70، وبيت المتنبي في شرح ديوانه 214/3، وبيت الخليل في: عشرة شعراء مُقلّون230/2.
192. الكشف عن مساوئ شعر المتنبي/73-74، وبيت المتنبي في شرح ديوانه 273/3.
193. ينظر: يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر 279/3-281.
194. ينظر: م.ن 139/1-142.
195. ديوان الصاحب بن عباد/141.
196. شرح ديوان المتنبي 247/3.
197. ديوان الصاحب بن عباد /148.
198. شرح ديوان المتنبي 45/4.
199. ديوان الصاحب بن عباد /173.
200. شرح ديوان المتنبي 55/3.
201. الكشف عن مساوئ شعر المتنبي/47-48، وبيت المتنبي في شرح ديوانه 109/3، وبيت مسلم بن الوليد في شرح ديوان صريع الغواني /320.
202. الكشف عن مساوئ شعر المتنبي/52، وبيت المتنبي في شرح ديوانه 275/1.
203. الكشف عن مساوئ شعر المتنبي/66،وبيت المتنبي في شرح ديوانه254/1.
204. للاستزادة ينظر: الكشف عن مساوئ شعر المتنبي/50 ،51، 56-57.
205. م.ن/70، وبيت المتنبي في شرح ديوانه217/2،باعتماد رواية الديوان.
206. ينظر: شرح ديوان المتنبي 217/2-218.
207. الكشف عن مساوئ شعر المتنبي/71، والبيت في شرح ديوان المتنبي223/3، المحاش:ما أحرقته النار.
208. ينظر على سبيل المثال: الكشف عن مساوئ شعر المتنبي/49، 59، 67.
209. ديوانه 397/1.
210. المصادر والمراجع
211. القرآن الكريم ، أول المصادر وأكرمها.
212. أبو الطيب المتنبي في آثار الدارسين، د. عبد الله الجبوري، الجمهورية العراقية، وزارة الثقافة والفنون، صدر بمناسبة مهرجان المتنبي- بغداد، تشرين الثاني 1977،دار الحرية للطباعة- بغداد، 1398 هـ - 1978م.
213. أخلاق الوزيرين، أبو حيّان التوحيدي، تحقيق: الاستاذ محمد بن تاويت الطنجي، دمشق،1965.
214. تاريخ النقد الأدبي عند العرب من العصر الجاهلي الى القرن الرابع الهجري، تأليف المرحوم الاستاذ طه أحمد ابراهيم، دار الحكمة ، بيروت-لبنان،1937 [تاريخ مقدمة أحمد الشايب].
215. تاريخ النقد الأدبي عند العرب، نقد الشعر من القرن الثاني حتى القرن الثامن الهجري، د. إحسان عباس، طبعة مزيدة منقّحة ، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان- الأردن، ط2، 1993.

216. جنون العظمة في المتنبي مرض نفسي، عبد الرحمن صدقي، ضمن : أبو الطيب المتنبي حياته وشعره، مكتبة النهضة- بغداد، 1983.
217. دراسة نفسية لشخصية المتنبي من خلال شعره، د. عبد علي الجسماني، عبد الخالق نجم، بحث منشور في مجلة كلية الآداب/جامعة بغداد، ع37، 1410هـ - 1990م.
218. الدسائس الأدبية بين المتنبي والصاحب بن عباد، د. زكي مبارك، ضمن: أبو الطيب المتنبي حياته وشعره، مكتبة النهضة- بغداد، 1983.
219. ديوان ابن الرومي، أبي الحسن علي بن العباس بن جريج، تحقيق: د. حسين نصّار، مطبعة دار الكتب، ج2، 1974.
220. ديوان أبي تمام، بشرح الخطيب التبريزي، تحقيق: محمد عبده عزام، دار المعارف، القاهرة- مصر، ج1،1964،ج2و3،ط2،1970.
221. ديوان أبي نواس، برواية الصولي، تحقيق:د. بهجت [كذا] عبد الغفور الحديثي، ساعدت جامعة بغداد على طبعه ، دار الرسالة للطباعة، 1400 هـ - 1980م.
222. ديوان بشار بن برد، تقديم وشرح وتكميل فضيلة الاستاذ محمد الطاهر بن عاشور، د.ط، د.ت.
223. ديوان السيد الحميري، جمعه وحققه وشرحه وعلّق عليه وعمل فهارسه: شاكر هادي شكر، قدّم له العلاّمة الكبير الحجّة السيد محمد تقي الحكيم، منشورات:دار الحياة- بيروت، مطبعة سميا- بيروت، د.ت.
224. ديوان الصاحب بن عباد، شرحه وضبطه وقدّم له: ابراهيم شمس الدين، منشورات مؤسسة النور للمطبوعات، بيروت- لبنان،ط1، 1422هـ - 2001م.
225. ديوان المتنبي في العالم العربي وعند المستشرقين، الاستاذ ر.بلاشير، الترجمة العربية، طباعة القاهرة، د.ت.
226. الرسائل، اخوان الصفا وخلان الوفا، عني بتصحيحه: خير الدين الزركلي، المطبعة العربية بمصر، 1928م.
227. الرسالة الموضحة، محمد بن الحسن الحاتمي، تحقيق: د. محمد يوسف نجم، طبع دار صادر- بيروت، 1965.
228. شرح ديوان صريع الغواني، مسلم بن الوليد الانصاري، عنى بتحقيقه والتعليق عليه:د. سامي الدهان، دار المعارف، القاهرة، ط3، 1985 [تاريخ الايداع].
229. شرح ديوان المتنبي، وضعه: عبد الرحمن البرقوقي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط2، 2007م.
230. شعر أبي هلال العسكري، جمع وتحقيق ودراسة :د. محسن غياض، ساعدت جامعة بغداد على نشر هذا الكتاب، منشورات عويدات، بيروت- لبنان، ط1، مطبعة الوطن- بيروت، 1975.
231. الصبح المنبي عن حيثية المتنبي، البديعي، القاهرة، 1963.
232. عشرة شعراء مُقلّون، صنعة: الاستاذ الدكتور حاتم صالح الضامن، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، جامعة بغداد، مطابع دار الحكمة للطباعة والنشر- الموصل، 1411 هـ - 1990م.
233. كتاب الصناعتين الكتابة والشعر، تصنيف: أبي هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري، حققه وضبط نصّه: د. مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط2، 1409 هـ - 1989م.
234. الكشف عن مساوئ شعر المتنبي، تأليف: الصاحب أبي القاسم اسماعيل بن عباد، تحقيق: الشيخ محمد حسن آل ياسين، مكتبة النهضة - بغداد، ساعدت وزارة التربية على نشره، مطبعة المعارف- بغداد ، 1965م.
235. اللزوميات، لشاعر الفلاسفة وفيلسوف الشعراء أبي العلاء المعري، حققه وأشرف على طباعته: جماعة من الأخصائيين [كذا]، ج2، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط2، 1406 هـ - 1986م.

236. المثال والتحوّل آراء ودراسات في شعر المتنبي وحياته، د. جلال الخياط، الجمهورية العراقية، وزارة الاعلام، صدر بمناسبة مهرجان المتنبي، بغداد، 1977، دار الحرية للطباعة، 1396 هـ - 1976م.
237. المُسْتَطْرَف من كلّ فنّ مُسْتَظْرَف، تأليف: شهاب الدين محمد بن بن أحمد أبي الفتح الأبشيهي، المكتبة التجارية الكبرى، مطبعة وأوفسيت مُنير، 1986 [تاريخ الايداع].
238. النثر الفني في القرن الرابع الهجري، زكي مبارك، دار الجيل، بيروت- لبنان، 1975.
239. يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، لأبي منصور عبد الملك بن محمد بن اسماعيل ، الثعالبي، النيسابوري، حقّقه، وفصّله، وضبطه، وشرحه: محمد محي الدين عبد عبد الحميد، مطبعة السعادة- مصر، 1377 هـ .